شرح حائية
ابن أبي داود (٣١٦هـ)

شرحه الفقير إلى عفو ربه

د. عماد بن يونس السواعير العجرمي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

شرح حائية ابن أبي داود (٣١٦ ه)

الطَّبعةُ الأُولى

١٤٤٧هـ / ٢٠٢٦م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنيّة: (٢٠٢٦/١/٢٧٢)

بيانات فهرسة الكتاب

عنوان الكتاب: شرح حائية

تأليف: السخاوي ، عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد (٢٣٠-٣١٦ هـ)

تحقيق: السواعير ، عماد بن يونس عبد الكريم

بيانات الناشر: عمّان/ عماد بن عبد الكريم السواعير ، ٢٠٢٦

الوصف المادي: ٢٣٨ صفحة

رقم التصنيف: ٢٤٠

الوصف: العقيدة الإسلامية / علم الكلام/ المنظومات الشعرية

الطبعة: الأولى

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنّفه، ولا يعبّر هذا المصنّف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

شرح حائية
ابن أبي داود (٣١٦هـ)

شرحه الفقير إلى عفو ربه

د. عماد بن يونس السواعير العجرمي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله؛ أمَّا بعد:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عِمرَان : ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النِّسَاء : ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١].

أمَّا بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد: فإنَّ شرف العلم من شرف المعلوم، وإنَّ من أشرف العلوم علم العقيدة؛ لأنَّه يدرس أعظم معلوم؛ فهو يتعلق بالله جَلَّوَعَلَا: بأسمائه وصفاته، بتوحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

بالمسائل المتعلقة باليوم الآخر، بالجنة والنار، بعذاب القبر، إلى غيرها من المسائل العِظام المتعلقة بأركان الإيمان.

ولما صار الناس اليوم في زمان جهل -إلا من رحم الله- صار هذه العلم مهجورًا عند كثير منهم، لا يُلتفت إليه، وإن التُفت إليه أو دُرس أو دُرِّس؛ فإنِّما على استحياء.

أمَّا في الزمن الأول: فقد كان الاهتمام بهذا العلم اهتمامًا عظيمًا؛ لأنَّ الزلل والخطأ في مسائل العقيدة: زللٌ قد يُودي بصاحبه إلى النار والعياذ بالله.

فإنَّ الخلل في العقيدة قد يؤدي إلى الشرك أو البدعة؛ لذا ينبغي علينا أن نحرص على تعلم العقيدة، فالخطأ فيها ليس كالخطأ في الفقه مثلًا.

فإنَّ المرء إذا أخطأ في مسألة فقهية: تتعلق بالصلاة، أو بالوضوء، أو بالحج، أو بالصيام، أو غير ذلك.

فإنَّ هذا الخطأ لا يصل بحالٍ إلى الخطأ في مسائل العقيدة.

ولما كانت مسائل العقيدة بهذه الأهمية اشتغل بها علماؤنا، إذ منها وبها يتميز أهل السنة والجماعة عن غيرهم.

فأنت تحكم على صاحب السنة: إذا عرضت عقيدته على العقيدة الصحيحة التي تلقيناها عن النبي ﷺ-، وعن صحابته الكِرام، ومن سار على دربهم.

فإن خالفك أحدٌ في مسائل الاعتقاد: بوجود الشروط وانتفاء الموانع؛ فإنَّ مثل هذا المخالف يُحكم عليه بأنه مخالفٌ لمنهج أهل السنة والجماعة وطريقتهم.

والناس اليوم يحكم بعضهم على بعض: بتبديعٍ، أو تفسيقٍ، أو إخراجٍ من دائرة أهل السنة: بناءً على خلافٍ فقهي.

فمن يختلف معك في مسألةٍ فقهية تصنفه بأنَّه خارجٌ عن دائرة أهل السنة والجماعة!؛ والله المستعان!.

لذلك من أثبت مسائل الاعتقاد وآمن بها، وسار عليها، وجعل قلبه معقودًا عليها؛ فإنه يُحكم عليه بأنَّه من أهل السنة والجماعة، أتباع الصحابة الكِرام، والتابعين، وأتباعهم، ومن سار على دربهم إلى يوم يُبعثون.

ونحن قد ننجذب إلى المواعظ، والكلمات الرقيقة المبكية التي تتحدث عن أعمال القلوب مثلًا، ولكنَّ الحديث عن مسائل العقيدة أعظم؛ لأنَّ الخلل في العقيدة خطيرٌ، كما أخبر ربنا جَلَّوَعَلَا فقال: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨].

فالذي يُخطئ في بعض المسائل العقدية: كتوحيد الألوهية؛ فيقع في الشرك مثلًا، فقد ارتكب أمرًا عظيمًا جدًّا، ولو أتى بتراب الأرض حسنات؛ فإنَّها لن تنفعه يوم القيامة؛ لأنَّ الشرك يحبط العمل.

وقد أكرم الله العبد الضعيف بشرح منظومة بديعة نفيسة في علم العقيدة، لعالم جليل، عظيم القدر والشأن؛ وهي: حائية ابن أبي داود.

وذلك في مجالس علمية في مسجد هيثم الإدلبي في ناعور - عمَّان- الأردن- قبل سنوات.

وقد فُرِّغَ الشرح ونشرته بين بعض الأحبة دون مراجعة مني، ثم أكرمني الله بمراجعته وتهيئة للنشر؛ راجيًا من الله القبول.

وأن يكون حجة لي يوم القيامة، في صحائف أعمالي وأعمال والدَيَّ ومشايخي وكل من له فضل وحق عليَّ.

د. عماد بن يونس السواعير العجرمي

عمَّان -الأردن

ليلة الأربعاء ١١/ ٧/ ١٤٤٧هـ

منزلة الحائية

منزلة الحائية

تميزت هذه المنظومة المباركة بجملة من المزايا التي كانت سببًا -بعد توفيق الله- للناظم في تلقي الأمة لها بالقبول؛ **منها**:

أنَّ هذه المنظومة من أوائل المنظومات في علم العقيدة؛ فهي ثالث أقدم منظومة عقدية وصلت إلينا.

فقد وُلِدَ ناظمها: ابن أبي داود في السنة الثلاثين بعد المئتين للهجرة، وتوفي سنة ٣١٦هـ.

كما تميَّزت بعذوبةِ ألفاظِها، وسهولةِ حفظِها، وتضمَّنت مُجْمَلَ اعتقادِ أهلِ السُّنَّةِ.

حيث نقل فيها عقيدةَ السَّلف: عقيدة الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين، في جل المسائل: كالقدر، والرؤية، والحوض، و الصحابة، وغيرها.

التعريف بالناظم:

هو عبد الله بن سليمان بن الأشعث، يُعرف بـــابن أبي داود، وتنسب هذه المنظومة له بقولهم: حائية ابن أبي داود.

وابن أبي داود عالمٌ جليلٌ ابنُ عالمٍ جليلٍ، والدُه أبو داود السجستاني صاحب «السُّنَنْ».

والناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ربَّاه والده على العلم والهُدى والتقوى والفضل، وطَوَّفَ به في البلاد، فصار عالـمًا إمامًا مُفتيًا في زمانه، يعلمُ النَّاسَ حديثَ النبي ﷺ.

وله عدد من المؤلفات؛ **منها**:

- كتاب المصاحف.

- البعث والنشور.

ومن الجدير بالذكر أنَّ الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ رُمِيَ بالنَّصْبِ؛ والنَّصْبُ: هو عِداءُ آل البيت؛ والنَّواصب فرقة -سيأتي ذكرها في مسألة الصحابة-: عادت آلَ البيت، وعليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على وجه الخصوص، وأذيتهم بالقول والفعل؛ وهم على النقيض من الروافض.

وابن أبي داود بريءٌ من هذه التهمة، إذ كيف يعادي عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقد أثنى عليه ومدحه، كما سيأتي في البيت السادس عشر، **حيث قال**:

وَرَابِعُهُمْ خَـــــيْرُ الْبَرِيَّـــــةِ بَعْدَهُمْ (عَلِيٌّ) حَلِيْفُ الخَـيْرِ، بِالخَـيْرِ مُنْجِحُ

وقد نقل: الخطيب البغدادي، وابن عساكر، والإمام الذَّهبي، والحافظ ابن حجر العسقلاني، وغيرهم أنَّه قال: «كلُّ الناس مني في حِلٍّ إلا مَنْ رماني بِبُغْضِ عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ» (١).

فالناظم على عقيدة صافية طيبة ولله الحمد، ولكن هذا من سُنَّةِ الله في كونه: أنَّ أهل الفضل يُشَغِّبُ عليهم، ويُشَوِّشُ عليهم مَن يخالفهم.

وهذه المنظومة ثبتت بالتواتر عن صاحبها، كما ذكر الذَّهبي وغيره.

وقد رويت عنه بالأسانيد؛ فقد رواها عنه تلميذه الآجري في كتاب «الشريعة»،

(١) تاريخ بغداد (١١/١٣٦)، تاريخ دمشق (٢٩/٨٩)، سير أعلام النبلاء (٣١/٢٢٩)، لسان الميزان (٤/٤٩٠).

وابن بطة، وابن أبي يعلى، وابن البناء، والذهبي.

وقد اختلف في عدد أبياتها، إلَّا أنَّ الصحيح الراجح الذي عليه أكثر النُّسَخِ الخطِّيَّة لهذه المنظومة: أنَّ أبياتها ثلاثةٌ وثلاثون بيتًا، وبعضهم يزيد بيتين، وبعضهم أوصلها إلى أربعين، إلى غير ذلك من الزيادات التي وقعت في بعض النُّسَخِ.

۞ شروحات على المنظومة الحائية:

من عناية الأئمة بهذه المنظومة: أنَّ العُلماء تواتروا على روايتها وشرحها؛ فمن الذين شرحوها:

١. الآجُرِّيُّ الإمام الجليل.

٢. والسَّفارينيُّ، واسم شرحه: «لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية».

٣. كذلك شرحها ابنُ البَنَّاء.

كما شرحها من المعاصرين عددٌ كبيرٌ جدًّا، وعلى رأسهم شيخنا:

١. الشيخ عبدالكريم الخضير.

٢. والشيخ عبدالرزَّاق بن عبدالمحسن العبَّاد.

٣. وشرحها الشيخ عبدالرحمن البرَّاك.

٤. وكذلك شيخنا الشيخ عبدالرَّحمن العقل، وغيرهم من أئمة أهل العلم.

وهذه المنظومة تنتهي بحرف الحاء؛ فهي حائية الرَّويِّ، لذا تُسَمَّى: حائية، فالمنظومات تُسَمَّى أحيانًا بحسب حرف الرَّوِي الذي تبنى عليه.

متن المنظومة الحائية

متن المنظومة الحائية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الناظم بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الْهُــــــدَى ... وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا؛ لَعَلَّكَ تُفْلِـــــحُ

وَدِنْ بِكِتَـــــابِ اللهِ وَالــسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَـــحُ

* * *

وَقُلْ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلامُ مَلِيكِنَـــــا ... بِـذَلِكَ دَانَ الأَتْقِياءُ، وأَفْصَحُــــوا

وَلا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِـــلًا ... كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ، وَأَسْجَحُـــوا

وَلَا تَقُلِ: الْقُـــــرْآنُ خَـلْقٌ قَرَأْتُهُ، ... فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ بِاللَّفْـــــظِ يُوضَحُ،

* * *

وَقُلْ: يَتَجَلَّى اللهُ لِلْخَلْـقِ جَهْـــرَةً ... كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَـحُ،

وَلَيْسَ بِمَوْلُـــودٍ، وَلَيْسَ بِـــوَالِدٍ ... وَلَيْـسَ لَهُ شِبْـــهٌ تَعَالَى الْمُسَبَّحُ،

وَقَدْ يُنْكِرُ الجهْــمِيُّ هَذَا، وَعِنْـدَنَا ... بِمِصْـــدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيْثٌ مُصَرَّحُ،

رَوَاهُ (جَرِيـرٌ)، عَنْ مَقَـالِ (مُحَمَّدٍ) ... فَقُـلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَـالَ فِي ذَاكَ تنْجَحُ،

* * *

وَقَدْ يُنْكِــــــرُ الجهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ ... وَكِلْتَا يَدَيْــــهِ بالْفَوَاضِــــلِ تَنْفَحُ

❊ ❊ ❊

وَقُلْ: يَنْزِلُ الجَبَّـــارُ فِي كُلِّ لَيْلَــةٍ ... بِلَا كَيْــفَ جَلَّ الْوَاحِــدُ الْمُتَمَدَّحُ

إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَـــا يَمُنُّ بِفَضْلِـــهِ ... فَتُفْــرَجُ أَبْوَابُ السَّمَـــاءِ وَتُفْتَحُ

يَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِــرٌ يَلْقَ غَافِــــرًا ... وَمُسْتَمْنِـــحٌ خَيْرًا وَرِزْقًــا؛ فَيُمْنَحُ

رَوَى ذَاكَ قَــوْمٌ لا يُرَدُّ حَــــدِيثُهُمْ ... أَلَا خَـــابَ قَوْمٌ كَـــذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا

❊ ❊ ❊

وَقُلْ: إِنَّ خَيْرَ النَّـــاسِ بَعْدَ (مُحَمَّدٍ) ... (وَزِيـــرَاهُ) قِدْمًا ثُمَّ (عُثْمَانُ) الَارْجَحُ

وَرَابِعُهُمْ خَـــــيْرُ الْبَرِيَّـــةِ بَعْدَهُمْ ... (عَلِيٌّ) حَلِيْفُ الخَــيْرِ، بِالخَــيْرِ مُنْجِحُ

وإِنَّهُمُ وَالــــرَّهْطُ لَا رَيْـــبَ فِيهِمُ ... عَلَى نُجُبِ الْفِــرْدَوْسِ فِي الْـخُلْدِ تَسْرَحُ

(سَعِيدٌ) وَ(سَعْدٌ) وَ(ابْنُ عَوْفٍ) وَ(طَلْحَةٌ) ... وَ(عَامِرُ فِهْرٍ) وَ(الزُّبَيْرُ) الْمُمَـــــدَّحُ

وَقُلْ: خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَـــــةِ كُلِّهِمْ ... وَلَا تَكُ طَعَّانًـــــــا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ؛

فَقَدْ نَطَـــــقَ الْوَحْيُ المُبِينُ بِفَضْلِهِمْ ... وَفِي (الْفَتْحِ) آيٌ لِلصَّحَابَــــةِ تَمْدَحُ

❊ ❊ ❊

وَبِالْقَـــــدَرِ الْـمَقْـدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ ... دِعَامَةُ عَقْـــدِ الدِّينِ، وَالدِّيــنُ أَفْيَحُ

❊ ❊ ❊

وَلَا تُنْكِــرَنْ - جَهْلًا- نَكِيرًا وَمُنْكَرًا ... وَلَا الْـحَــوْضَ وَالْـمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

❊ ❊ ❊

وَقُلْ: يُخْرِجُ اللهُ الْعَظِيـــمُ بِفَضْـــلِهِۦ ... مِنَ النَّارِ أَجْسَـــادًا مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ

عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِـــــرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِۦ ... كَحَبِّ حَمِيـــــلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

❊ ❊ ❊

وَإِنَّ رَسُـــولَ اللهِ لِلْخَلْقِ شَافِــــعٌ ... وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَـــبْرِ: حَقٌّ مُوَضَّحُ

❊ ❊ ❊

وَلَا تُكْفِرَنْ أَهْـــلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا ... فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وَذُو الْعَــــرْشِ يَصْفَحُ

❊ ❊ ❊

وَلَا تَعْتَقِـــــدْ رَأْيَ الخَـــــوَارِجِ إِنَّهُ ... مَقَالٌ لِمَنْ يَهْـــوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَـــحُ

وَلَا تَكُ مُرْجِـــيًّا لَعُـــوبًا بِدِينِـــهِۦ ... أَلَا إِنَّمَـــا الْمُرْجِيُّ بِالدِّيـــنِ يَمْزَحُ

❊ ❊ ❊

وَقُلْ: إِنَّمَــــا الْإِيمَـــانُ: قَوْلٌ وَنِيَّةٌ ... وَفِعْـــلٌ عَلَى قَـــوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ

وَيَنْقُـــصُ طَوْرًا بِالْـمَعَاصِي، وَتَـــارَةً ... بِطَاعَتِهِ يَنْمَى، وَفِي الْــــوَزْنِ يَرْجَحُ

❊ ❊ ❊

وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَـــــالِ وَقَوْلَهُمْ ... فَقَـــوْلُ رَسُـولِ اللهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ

وَلَا تَكُ مِنْ قَــــوْمٍ تَلَهَّـــوْا بِدِينِهِمْ؛ ... فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الحَـــــدِيثِ وَتَقْدَحُ

❊ ❊ ❊

إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ -يَا صَاحِ- هَذِهِۦ ... فَأَنْتَ عَلَى خَـــــيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ

❊ ❊ ❊

الاعتصام بالكتاب والسنة
ومجانبة البدع

الاعتصام بالكتاب والسنة ومجانبة البدع

قال الناظم بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الْهُــــدَى   وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا؛ لَعَلَّكَ تُفْلِـــــحُ

وَدِنْ بِكِتَـــابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي   أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَـــحُ

***

استهل الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ منظومته بنصيحة نفيسة: وهي أن نتمسك بحبل الله تعالى، فهو سبيل النجاة والفوز.

ومن لم يستمسك به: ضل وغوى، وتعلق رأيًا أو هوى، ويقينًا سيزل ويشقى؛ والناظم يقتبس كلامه:

- من كلام الله جَلَّ وَعَلَا .
- ومن كلام رسوله ﷺ.

فالله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عِمرَان : ١٠٣] .

وقد تكرر الأمر في كتاب الله جَلَّ وَعَلَا بالتمسك بوحي الله عَزَّوَجَلَّ؛ فقال: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الزُّخرُف : ٤٣].

وقال أيضًا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعرَاف : ١٧٠].

لذا يا طالب العلم دائمًا احرص: أن تكون ألفاظُك ومصطلحاتك مقتَبَسَةٌ من كلام الله جَلَّوَعَلَا، ومن كلام النبي ﷺ؛ ولكن **ما المقصود بحبلِ الله؟**

الجواب: للعلماء في المقصود بحبل الله **قولان**:

القول الأوَّل: أنَّ حبل الله: هو القرآن، فهو الصلة بيننا وبين خالقنا جَلَّوَعَلَا.

واستدل أصحاب هذا القول:

١. بحديث جاء عن النبي ﷺ من رواية علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي في فضائل القرآن الكريم: «وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ»[(١)]؛ والحديث ضعيف.

والقول الثاني: أنَّ حبل الله: هو الوحي؛ والوحيُ يشملُ القرآنَ ويشملُ السُّنَّةُ؛ فيكون على ذلك **قوله**: تَمسَّكْ بحَبْلِ اللهِ؛ أي تَمسَّكْ بالكتاب وَتَمسَّكْ بالسُّنَّةُ.

شبهة ورد: هل السُّنَّةُ وحيٌ؟

إنَّ السُّنَّةَ المطهرة وحيٌ من الله، **والدليل على ذلك**: ما قاله الله جَلَّوَعَلَا عن رسوله الكريم ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النَّجم: ٣ - ٤].

وكذلك الله جَلَّوَعَلَا أخبرنا: أنَّه أنزل الكتاب على محمد ﷺ ليبينه للناس، كما في قوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ [النَّحل: ٤٤].

وهذا البيان سيكون: بالسُّنَّةِ، وقد جاء عن النبي ﷺ أنَّه قال: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[(٢)].

والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجر: ٩].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٠٦) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ إِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ وَفِي الْحَارِث مقَال»؛ وضعفه الألباني رحمه الله.

(٢) أخرجه أحمد (١٧١٧٤) وأبو داود (٤٦٠٤) من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، وصححه الحاكم والألباني.

ومعلوم بالضرورة: أنَّ حفظ القرآن الكريم على الوجه الأكمل: لا يتم إلا بحفظ ما بينه، ووضحه، وشرحه من السنة النبوية.

وقد قال التابعي الجليل حسان بن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ بالسُّنَّة كما ينزل عليه بالقرآن، يعلمه إياها كما يعلمه القرآن»(١).

وقال الإمام ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلام رسول الله كله في الدين، وحي من عند الله لا شكَّ في ذلك، ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة: في أنَّ كل وحي نزل من عند الله تعالى فهو ذكر منزل.

فالوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين، وكل ما تكفل الله بحفظه فمضمون ألا يضيع منه، وألا يحرف منه شيء أبدًا، تحريفًا لا يأتي البيان ببطلانه.

إذ لو جاز غير ذلك لكان كلام الله تعالى كذبًا، وضمانه خائسًا، وهذا لا يخطر ببال ذي مسكة عقل، فوجب أنَّ الذي أتانا به محمد ﷺ محفوظ بتولي الله تعالى حفظه ...».

ثم قال: «فإن قال قائل: إنَّما عنى تعالى بذلك القرآن وحده، فهو الذي ضمن تعالى حفظه لا سائر الوحي الذي ليس قرآنا.

قلنا له وبالله تعالى التوفيق: هذه دعوى كاذبة، مجردة من البرهان، وتخصيص للذكر بلا دليل، وما كان هكذا فهو باطل.

والذكر: اسم واقع على كل ما أنزل الله على نبيه: من قرآن، أو من سنة، وحي يبين بها القرآن»(٢).

---

(١) أخرجه الدارمي (١٥٣/١)، والخطيب البغدادي في الكفاية (١٥)، وغيرهما، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في: الفتح (٢٩١/١٣).

(٢) الإحكام (١١٤/١).

لذا اليوم يخرج علينا أقوام: ينكرون سُنَّةَ النبي ﷺ ولا يقبلونها، ويردونها جملةً وتفصيلًا، ويقولون: نأخذ ديننا من القرآن.

ومن هؤلاء: فرقة يسمون أنفسهم: القرآنيون؛ **فمن هم القرآنيون؟**

القرآنيون: هم قومٌ يأخذون دينهم من القرآن فقط، وغير ما جاء في القرآن لا يأخذون به.

ومن أحسنِ الإجاباتِ التي تنسفُ شبهاتِ القرآنيين أن تقولَ لهم:

نَتَّفِقُ معكم للحظَةٍ أنَّ السُّنَّةُ ليست وحيًا، وليست من عند الله جَلَّوَعَلَا فلا نأخذُ بها، ونرميها وراء ظهورنا، حينئذ سنواجه مشكلة في أول عباداتنا.

كيف سنُصَلِّي؟ هل جاء تفصيل الصلوات في القرآن؟ هل جاء عدد ركعات الصلوات في القرآن؟ هل جاء تفصيل مقدار الزَّكاة في القرآن؟ هل جاء تفصيلُ موضِعِ قطع يد السارق في القرآن؟

إلى غير ذلك من الأحكام الشَّرعيَّةِ التَّعَبُّدِيَّةِ، والتي لم يرد تفصيلها وبيان كيفيتها في القرآن الكريم؛ لذا السُّنَّةُ الصحيحة التي ثبتت صحتُها عن النبي ﷺ: وحيٌ يجب أن نأخذ بها كما نأخذ بكلام الله جَلَّوَعَلَا.

وعجبي لا ينتهي من أقوام يردُّون سُنَّةَ النبي ﷺ ويُلْقُونها خلف ظهورهم، **كيف سيكون موقفهم يوم المحشر؟** يوم يذاد بينهم وبين النَّبي ﷺ؛ لأنَّهم من المُبَدِّلِين الرَّادين لسُنَّة النبي ﷺ.

واعلم أخي المسلم: أنَّ الله الَّذي حفظ القرآن، حَفِظَ لنا السُّنَّةَ، فهيَّأَ علماء على

مرَّ العصور: جمعوا حديث النبي ﷺ ودرسوه، فأخرجوا لنا الصحيح، وأخرجوا لنا غير الصَّحيح، مِمَّا دُسَّ وَوُضِع في أحاديث النبي ﷺ.

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

......وَاتَّبِعِ الْهُــــــدَى......

جاء تفسير «الهدى» في حديث النبي ﷺ المخرَّجِ في صحيح مسلمٍ(١) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ».

وفي روايةٍ: «خيرُ الهَدْيِ هَديُ مُحَمَدٍ ﷺ»؛ **فالمقصود بالهُدى**: السُّنَّةُ.

وعليه يكون قول النَّاظِمِ:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الْهُــــــدَى......

أي: تَمَسَّكْ بالقرآن وبالسُّنَّة.

والنبي ﷺ قال: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»(٢).

وقد جاء الأمر بالتمسك بالسُّنة، في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود، فيه قال النبي ﷺ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»(٣).

لذلك ينبغي علينا أن نتَمَسَّكَ بها، بل جاء الأمرُ النبويُّ ليس فقط بالتمسك، وإِنَّمَا بالعَضِّ عليها.

---

(١) برقم (٨٦٧).
(٢) ذكره مالك بلاغًا في موطئه (٣٣٣٨)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٩٣٧).
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) وصححه الألباني.

واعلم أنَّ الذين يحافظون على السُّنَّة في آخر الزَّمان قِلَّةٌ، وصدق النبي ﷺ حينما قال: «بدأ الإسلامُ غريبًا وسيعودُ غريبًا كما بدأ فطُوبى للغرباءِ».

وقد جاء تخصيصهم بأنَّهم أهل السُّنَّةِ، هم الطائِفَة المنصورة الذين يثبُتون على سُنَّة النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا، قولًا وعملًا وخُلُقًا، وعقيدةً وسلوكًا.

مسألة: **كيف يكون هذا التمسك بوحي الله جَلَّ وَعَلَا؟**

يتحقق التمسك بالكتاب والسنة في سبعة أمور:

أولاً: محبة الوحي.

ثانيًا: معرفة ما أمر الله، وما حث عليه، وما جاء عن رسوله ﷺ.

فكيف تكون متمسكًا بشيء وأنت جاهل به؟!

فالتمسك بالوحي فرع عن معرفته.

ثالثًا: المبادرة إلى الامتثال والصدق في العمل.

رابعًا: أن تنظر بعين الإجلال والتقدير والاحترام: لما جاء في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ.

خامسًا: أن تعتقد أنَّ الهداية لا تكون إلا بما جاء في القرآن والسنة.

فالهداية محصورة ومقصورة على هذا الوحي، وقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن نبيه ﷺ: ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾[سَبَإ: ٥٠].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]؛ فلا هداية إلا من هذا الطريق.

فمن ظن أَنَّهُ يمكن الوصول إلى الخير والحق والنجاة والهدى من غير طريق محمد ﷺ: فقد ضل ضلالًا مبينًا؛ كمن ظن: أنَّ الهداية في فلسفة اليونان، أو في طرائق المتكلمين، أو في الكشوف والرؤى، وغير ذلك.

سادسًا: حمل نصوص الوحي على ظاهرها.

فلن تكون صادقًا في التمسك بهذا الوحي إلا إذا فهمته فهمًا صحيحًا، يراعى فيه معاني العرب التي أرادوها، وأن تحمل نصوص الوحي على ظاهرها الذي أراده الله، وأراده نبيهﷺ.

وأمَّا سلوك مسلك التحريف والتأويل: فضلال مبين، وعدم تسمك بالوحي الكريم.

سابعًا: الثبات على الأخذ بالوحي إلى الممات.

۞ أنواع الهداية:

لا بد أن نذكرُ الفَرْقَ بين نوعي الهداية؛ لنزيل إشكالًا قد يقع في عقول الناس: فالله جَلَّوَعَلَا يقول لمحمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القَصَص: ٥٦]، ويقولُ في آيةٍ أخرى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورَىٰ: ٥٢].

فالهدايةُ نوعان:

النوع الأوَّل: هدايةُ بيانٍ وإرشادٍ.

وهذه هي الهداية المقصودة بقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورَىٰ: ٥٢]؛ فالنَّبيُّ ﷺ: يبين، ويرشد، ويوضح للنَّاس.

النوع الثاني: هدايةُ التوفيقِ.

وهدايةُ التوفيقِ والإلهام: بِيَدِ الله جَلَّوَعَلَا، وهذه المقصودة بقوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القَصَص: ٥٦].

فالنبي ﷺ يهدي هداية بيان، ولا يهدي هداية توفيق.

لذا اليوم تأتي على فلان من الناس، فتنصحه وتُنكِرُ عليه، فيقول لك: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القَصَص: ٥٦].

نقول: لا، ليس هذا مَحَلُّ الاستشهاد بها، فمحل الاستشهاد بها: إذا لم يوفقك الله للهُدى، نقول: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القَصَص: ٥٦].

لكن يلزمك الهداية الأولى -هداية البيان-: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا يجب علينا أنْ نشتَغِلَ به، وجوبًا كِفائِيًا كما هو معلومٌ.

قال الناظم:

......**وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا؛ لَعَلَّكَ تُفْلِــــحُ**

الناظم في هذا البيت بعد أن أمرك بالتمسك بالكتاب والسنة، نهاك عن الابتداع، فإن تمسكت: بالكتاب والسنة ظاهرًا وباطنًا، قولًا وعملًا، فقهًا وسلوكًا وعقيدة، وجانبت البدع فإنَّك: من المفلحين.

۞ البدعة

المسألة الأولى: ما البدعة؟

يدور حولها اليوم نقاش كبير وخلاف بين الناس: من جاعل كل بدعة ضلالة،

وممن يقبل البدعة، ويقول: البدعة منها ما هو حسن، ومنها ما هو قبيح، ومنهم من يقول: البدعة تعتورها الأحكام الفقهية الخمسة؛ أي: منها ما هو:

- واجب.
- أو مندوب.
- أو مباح.
- أو مكروه.
- أو محرم.

فهل هذا صحيح؟!

البدعة في اللغة: هي ما فُعِل على غير مثال سابق، كما تطلق البدعة في اللغة على الشيء الحسن الجميل المتقن.

قال ربي جَلَّوَعَلَا عن نفسه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البَقَرَةِ: ١١٧]؛ أي موجد السماوات والأرض، على غير مثال سابق، في غاية الإتقان.

وأما في الاصطلاح: فمن أحسن ما قيل في حدها وبيانها **تعريف** الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها، المبالغة في التعبد لله» [(١)].

وكذلك عرفها الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «كل من أحدث شيئًا، ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين، يرجع إليه، فهو بدعة»[(٢)].

(١) الاعتصام (١/٤٧).
(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٨).

وعرفها الشيخ إبراهيم الرحيلي في كتابه «عقيدة أهل السنة والجماعة في البدعة والتبديع» حيث قال: «التعبد لله بغير المشروع، أو بما يخالف المشروع استحسانًا»[1].

المسألة الثانية: ما صفات البدعة؟

الصفة الأولى: أن تكون في أبواب الدين، لا في أبواب الدنيا، فلا بدعة في الأمور الدنيوية.

وهذه معنى قول الشاطبي: «في الدين».

الصفة الثانية: ألَّا يدل عليها دليل، فلا تكون على عهد النبي ﷺ، ولا على عهد الصحابة الكرام، فالدين اكتمل، كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المَائِدَة: ٣].

وهذا معنى قول الشاطبي: «مخترعة».

الصفة الثالثة: أن يكون القصد من هذه البدعة التعبد لله.

وهذا معنى قول الشاطبي: «تضاهي الشرعية»، فيقصد بها المبالغة في التعبد، فتصبح طريقًا مسلوكًا، يقصد سالكه: التعبد لله.

فلو أنَّ مسلمًا صلى الظهر خمس ركعات، وقال: أنا أريد بهذه الخمس زيادة حسنات، ففعله هذا: بدعة، فضلًا عن بطلان الصلاة.

ولكن لو نسي، فزاد ركعة خامسة، فهذه الزيادة: لا يقصد بها المبالغة في التعبد؛ لذلك لا تسمى بدعة.

والبدع خطرها عظيم، وشرها مستطير.

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة في البدعة والتبديع (٣).

والنَّبي ﷺ كان يحذر الناس منها، في مقدمة خطبة الجمعة، التي تسمى خطبة الحاجة، فيقول: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»[(١)].

وقال في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[(٢)].

وكان سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «الْبِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، الْمَعْصِيَةُ يُتَابُ مِنْهَا، وَالْبِدْعَةُ لَا يُتَابُ مِنْهَا»[(٣)].

ولأنَّ صاحب المعصية، قد يرتكبها، وهو منكسر ويشعر أنَّه مقصر، لكن المبتدع يرى نفسه: أنّه يتقرب إلى الله؛ فيسول له الشيطان في الضلال ما شاء الله.

المسألة الثالثة: هل يوجد في الإسلام بدعة حسنة؟

بداية لا بد أنَّ تعلم أيها المسلم: أنَّ الطريق الموصل إلى الله واحد؛ وهو لزوم طريقة النَّبي ﷺ وطريقة أصحابه؛ فالله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ﴾ [البَقَرَة: ١٣٧].

وقال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النِّسَاء: ١١٥].

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا خَطًّا ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ الله، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧)، النسائي (١٥٧٧)

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧) وصححه الألباني.

(٣) أخرجه ابن الجعد في مسنده (٢٧٢).

شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»(١).

والجواب على هذا السؤال: هل يوجد في الإسلام بدعة حسنة؟

نقول: لا، فالبدع كلها ضلالة، بنص قول رسول الله ﷺ حيث قال: «كل بدعة ضلالة»؛ و«كل» من ألفاظ العموم.

وكيف يكون ذلك؟! وقد روى الإمام ابن نصر المروزي بسنده عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَإِنْ رَآهَا النَّاسُ حَسَنَةً»(٢).

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ لما ذكر حديث -«إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»-: «هذا الحديث محمول عند العلماء على عمومه، لا يستثنى منه شيء البتة، فليس فيها ما هو حسن أصلًا»(٣).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذا نص رسول الله ﷺ، فلا يحل لأحد: أن يدفع دلالته على ذم البدع، ومن نازع في دلالته فهو راغم»(٤).

لذلك انتبه أيها المسلم السُّني، واحذر من مثل هذه المقالة الشنيعة.

ويروى عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «مَنِ ابْتَدَعَ فِي الإِسلامِ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ خَانَ الرِّسَالَةَ؛ لِأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]»(٥).

(١) رواه أحمد (١/ ٤٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٧٤)، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» برقم (٧).
(٢) السنة (٨٣)، وانظر الإبانة (٢٠٥)، وصححه الألباني (ص٢٠١).
(٣) فتاوى الشاطبي (١٨٠-١٨١).
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٨٨).
(٥) رواه ابن حزم في كتابه «الإحكام في أصول الأحكام» (٦/ ٨٥)؛ وفي سنده ضعف

شبهة ورد:

قد يقول قائل: **كيف نجيب عن قول عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في الصحيح: «نِعْمَ البدعة»، ففيه دليل على مدح بعض البدع واستحسانها؟**

أولًا: لا بد من معرفة سياق الجملة التي هي محل البحث هنا، والرجوع إلى أصل المسألة.

فهذا الفعل الذي امتدحه عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: وهو صلاة التراويح خلف إمام واحد، كان على زمن النبي ﷺ.

ففعل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ إذن ليس على غير مثال سابق، فإنَّ النبي ﷺ صلى بالناس ليلتين أو ثلاث كما في الصحيحين.

فعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ لَيْلَةً مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ، وَصَلَّى رِجَالٌ بِصَلَاتِهِ.

فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا، فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ، فَصَلَّوْا مَعَهُ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا، فَكَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَلَّى فَصَلَّوْا بِصَلَاتِهِ.

فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ، حَتَّى خَرَجَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ، فَلَمَّا قَضَى الْفَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ.

فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ، وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ، فَتَعْجِزُوا عَنْهَا.

فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ» (١).

---

(١) البخاري (٢٠٢٢)، ومسلم (٧٦١).

وفي هذا يقول أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كان رسول الله ﷺ يُرَغِّبُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ فِيهِ بِعَزِيمَةٍ؛ فَيَقُولُ: مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ كَانَ الأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَصَدْرًا من خلافة عمر على ذلك»؛ رواه مسلم(١).

ثم إنَّ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ جمع الناس خلف إمام واحد؛ فقد أخرج البخاري(٢) بسنده عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: «خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ، يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ.

فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ، ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِئِهِمْ.

قَالَ عُمَرُ: نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ، وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ -يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ- وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ».

وإنَّ الناظر في هذه النصوص الثلاثة التي في أعلى درجات الصحة، **سيظهر له جليًّا:**

- أنَّ فعل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لا يدخل في حد البدعة ابتداء ولا انتهاء، وبهذا ننظر إلى الجملة التي قالها.

---

(١) برقم (٧٥٩).

(٢) برقم (٢٠٢٠).

- وأمَّا بترها عن سياقها، ولحاقها، ومقامها، فلا شك أنَّه: تلبيس.

ثانيًا: أنَّ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقصد بالبدعة هنا: المعنى اللغوي: وهو الشيء الحسن الجميل.

ولو قيل لنا: **ما أدراكم أنَّه يقصد المعنى اللغوي؟**

نقول: لأنَّ البدعة في معناها الاصطلاح: لا يدخل فيها فعل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ لأنَّ اجتماع الناس له مثال سابق.

ثالثًا: أنَّ قول عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هذا جار على طريقة العرب وأسلوبها فيما يعرف: بالمشاكلة.

والمشاكلة: **هي المجانسة في التعبير**؛ أي: أن يُستعمل لفظ في معنى غير حقيقي له، موافقةً أو مجاراةً: لكلام قيل، أو يُتوقع أن يُقال.

ومثاله قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشُّورَىٰ: ٤٠]، فالسيئة الثانية ليست سيئة في الحقيقة، بل هي عقوبة للجاني؛ لأنَّ الله لا يجازي بالسيئات.

ولا يزال الناس يستعملون هذ الأسلوب في كلامهم: كأن يرى زيدٌ محمدًا متعلقًا بالمسجد والعِلم، فيقول له زيد: ضيعت وقتك، فيجيبه محمد بقوله: نِعْمَ التَّضييع.

۞ استشكال وجواب:

من الأشياء التي يحسن بيانها في هذا المقام: أنَّ القائلين بوجود بدعة حسنة، يستدلون بالحديث المخرج في صحيح مسلم[(١)]: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ».

---

(١) برقم (١٠١٧).

فيقال لهم:

أولًا: هل في هذا الحديث، قال: من ابتدع في الاسلام بدعة حسنة؟!!

الجواب: لا؛ وإنَّما قال: من سن في الإسلام سُنَّةً حسنة؛ أي سلك طريقًا مسلوكًا، فلا يسمى الشيء سُنَّةً إلا إذا كان على طريق مسلوك.

ثانيًا: هذا الحديث له قصة ومناسبة، نذكرها كما رواها مسلم في صحيحه: فعَن الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ.

قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ.

فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلال فإذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النِّسَاء: ١] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاء: ١].

وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحَشر: ١٨].

تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ -حَتَّى قَالَ-: وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ .

قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ.

قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ: كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ.

وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ ينقص من أوزارهم شيء».

ومن تأمل الحديث: أدرك يقينًا أنَّ هذا الصحابي لم يأت بشيء جديد؛ فالصدقة معروفة مشروعة، لكن هذا الفعل منه -وهو المبادرة إلى الصدقة-: سُنَّة حسنة.

ومثاله: أن يأتي أحدنا في بيئة لا يصلي أهلها الضحى، فيصلى الضحى أمام الناس، فيتبعه الناس على هذا الفعل، فيكون: قد سنَّ سُنَّةً حسنة.

المسألة الرابعة: **هل البدعة تنقسم إلى واجبة ومستحبة ...؟**

ذهب بعض العلماء: كالعز بن عبد السلام، والنووي، وابن حجر، وغيرهم إلى أنَّ من البدع:

- ما هو واجب: كجمع المصحف.
- وما هو مندوب: كبناء المدارس.
- وما هو مباح: كالتوسع في المآكل.
- وما هو مكروهٌ: كزخرفةِ المساجد، أو محرَّمٌ: كبدعةِ القولِ بالقدرِ والإرجاءِ.

وهذا القول مردود وغير صحيح؛ ومن أحسن ما قيل في رده، جواب الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث عقد فصلًا في كتاب «الاعتصام» للرد على هذا التقسيم فقال: «إِنَّ هَذَا التَّقْسِيمَ أَمْرٌ مُخْتَرَعٌ، لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ.

بَلْ هُوَ نَفْسُهُ مُتَدَافِعٌ؛ لِأَنَّ مِنْ حَقِيقَةِ الْبِدْعَةِ: أَنْ لَا يَدُلَّ عَلَيْهَا دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ، لَا مِنْ نُصُوصِ الشَّرْعِ، وَلَا مِنْ قَوَاعِدِهِ.

إِذْ لَوْ كَانَ هُنَالِكَ مَا يَدُلُّ مِنَ الشَّرْعِ عَلَى وُجُوبٍ أَوْ نَدْبٍ أَوْ إِبَاحَةٍ، لَمَا كَانَ ثَمَّ بِدْعَةٌ، وَلَكَانَ الْعَمَلُ دَاخِلًا فِي عُمُومِ الْأَعْمَالِ الْمَأْمُورِ بِهَا أَوِ الْمُخَيَّرِ فِيهَا.

فَالْجَمْعُ بَيْنَ كَوْنِ: تِلْكَ الْأَشْيَاءِ بِدَعًا، وَبَيْنَ كَوْنِ: الْأَدِلَّةِ تَدُلُّ عَلَى وُجُوبِهَا، أَوْ نَدْبِهَا، أَوْ إِبَاحَتِهَا، جَمْعٌ بَيْنَ مُتَنَافِيَيْنِ»[(١)].

۞ قواعد في باب البدع:

ذكر جمع من العلماء، مجموعة من القواعد العلمية النفيسة، والتي يرحل إليها لمعرفة البدع، وتمييز البدعة من غيرها.

القاعدة الأولى: كل عبادة انعقد سببها أو مقتضاها في عهد النبي ﷺ ولم يفعلها، ولم يوجد شيء يمنع منها، ولم يجر عليها عمل السلف: ففعلها اليوم بدعة.

مثاله: الأذان لصلاة الكسوف؛ فالنبي ﷺ صلى الكسوف، وقد انعقد سبب الأذان لصلاة الكسوف، لكن لم يؤذن النبي ﷺ؛ لذلك الأذان لها بدعة.

مثال ثان: جاء يوم مولده طيلة حياته ﷺ في مكة وفي المدينة، فانعقد السبب وقام المقتضى للاحتفال؛ لكنه لم يحتفل به ﷺ، ولم يجر عليه عمل السلف، ففعله اليوم: بدعة؛ وهذه القاعدة مهمة، بل هي عاصمة في باب البدع.

قال ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذا ما تركه ﷺ مع قيام المقتضى، فيكون تركه: سنة وفعله بدعة.

---

(١) الاعتصام (٣٢٧/١).

وخرج بقولنا: "مع قيام المقتضى في حياته": إخراج اليهود من جزيرة العرب، وجمع المصحف، ما تركه لوجود مانع: كالاجتماع للتراويح»[(١)].

شبهة ورد:

قد يقول قال: إنَّ النَّبي ﷺ ما جمع المصحف مع قيام المقتضى، **فهل ما فعله الصحابة بدعة؟**

الجواب: إنَّ المقتضي للجمع قائم: وهو حفظ القرآن؛ ولكن وجد مانع للجمع، وهو كون القرآن لا يزال ينزل، فيحكم الله آيات وينسخ آيات، فقد يقوم المقتضى لفعل الشيء ولا يفعل لوجود المانع.

ثُمَّ إنَّ هذا الفعل -أي جمع القرآن- صدر عن صحابي بل خليفة راشد، وقد أُمرنا باتباع الصحابة النبي ﷺ.

القاعدة الثانية: كل تقرب إلى الله بمعصية فهو بدعة: كالتقرب إلى الله بضرب الطبل، والرقص، واللطم، وشق الجيوب، وضرب الرؤوس كما يصنعه الروافض وغلاة المتصوفة.

القاعدة الثالثة: كل عبادة فعلت على وجه لم يعتبره الشارع: فهي بدعة، فكل عبادة فعلت على كيفية، أو على هيئة، أو على صفة لم يعتبرها الشارع ففعلها على تلك الهيئة والكيفية الوجه: بدعة.

ومثاله: أن تذكر الله بطريقة ما اعتبرها الشارع، وتعتقد أنَّ فيها أجرًا وحسنات؛ لأنَّ الشرع ما أقام لهذه الصفة اعتبارًا.

(١) الفتاوى الحديثية (ص٢٨١).

القاعدة الرابعة: كل اعتقاد أو رأي يخالف نصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف، فإنَّه: بدعة.

مثاله: القول بأنَّ الاستواء معناه الاستيلاء؛ لأنَّه يعارض نصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف.

القاعدة الخامسة: كل عبادة دليلها حديث مكذوب أو موضوع، فإنَّها: بدعة، مثل: صلاة الرغائب.

القاعدة السادسة: كل عبادة دليلها الرأي والاستحسان، فإنَّها: بدعة؛ فالعبادات مردها التوقيف؛ أي من الكتاب وصحيح السنة.

ومن أمثلة هذه القاعدة: اعتماد المتصوفة في إثبات الأحكام على الكشف، والإلهام، والمنامات.

القاعدة السابعة: ليس كل من تلبس ببدعة صار مبتدعًا، فثمة فرق بين فعل البدعة وصاحبها.

فقد يفعل البدعة ولا يكون مبتدعًا، ولا يقال عنه مبتدع، فلا بد من تحقق شروط وانتفاء موانع.

وقد فشا اليوم التبديع بين بعض طلبة العلم؛ لذلك يحسن بنا ذكر ضوابط التبديع.

❁ ضوابط التبديع:

المتأمل لحال الناس اليوم في هذا الباب، **يجدهم ثلاثة أقسام**:

القسم الأول: قسم غلا جدًّا في هذا الباب؛ فبدَّع بلا ضوابط علمية، وطرق مرعية في الحكم على المخالفين، حتى صار جل العلماء والمنتسبين للعلم والدعوة مبتدعة عند هذه الطائفة.

القسم الثاني: قسم جفا جدًّا في هذا الباب؛ فلم يبدع أحدًا، وَصَحَّحَ كُلَّ الطرق والطوائف، ولا شك أنَّ هذا لا يستقيم البتة، وهو خطأ شنيع.

فكيف نسوي بين من يثبت صفات الرب جَلَّوَعَلَا **ومن يعطلها، وكيف نسوي بين من يسب الصاحبة وبين من يترضى عليهم؟!!**

القسم الثالث: توسط؛ فَبَدَّع من بدعه الشرع، وحكَّم الأصول والقواعد التي بها يخرج الإنسان عن أهل السنة والجماعة.

ولذلك لا بد من ضوابط يُعرف فيها المبتدع، ويرجع إليها حتى لا يكون الأمر إلى من هب ودب.

فيحكم على من شابت لحاهم في الدعوة إلى السنة بأنَّهم: مبتدعة ضلال، ويمزق شمل أهل السنة والجماعة؛ والله المستعان.

الضابط الأول: إذا كان مخالفًا لنا في مصادر التلقي؛ وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، وهذه الأصول أجمع عليها العلماء.

أمَّا بقية المصادر ففيها خلاف، مثل: فعل الصحابي، واستصحاب الحال، وغير ذلك؛ فلو جاءنا مسلم، وبدأ يأخذ الأحكام من العقل لا من هذه الأصول، أو من كلام الفلاسفة ونحوهم.

فإنّه مخالف لطريقة أهل السنة والجماعة: فيبدع؛ ولكن لا بد من تحقيق شروط وانتفاء موانع كي يبدع.

الضابط الثاني: المخالفة في أصل كلي من أصول أهل السنة والجماعة، فإذا خالف العبد في أصل كلي من أصول أهل السنة والجماعة.

مثل: المخالفة في مسألة القدر، ومسألة الصفات، ومسألة سب الصحابة، فهذا يسمى: مبتدعًا.

واليوم ترى من يبدع أخاه على مسألة فرعية جدًّا، وهذه مصيبة من المصائب.

الضابط الثالث: أن يصبح هذا الذي وقع في البدعة: عَلَمًا على هذه البدعة؛ فينصرها ويعرف بها ويوالي ويعادي عليهم: كأن يؤلف كتابًا لنصرتها ونشرها.

۞ **نصيحة -لك يا طالب العلم-:**

- احذر من مسلك التبديع والتفسيق، واشتغل بما ينفعك، واحرص على سلامة قلبك ولسانك، فإنَّه ما دخل عبد هذا الباب إلا قسا قلبه، وتفرق عن إخوانه، وأضر وما نفع.

فدعوتنا دعوة حق، ودعوة رحمة بالخلق، ونحن لسنا من الذين يصححون كل أخطاء المخالفين، فلا فرق عندنا بين المبتدع والسُّني، بل نحن عندنا ضوابط في باب التبديع والتفسيق.

- **والنصيحة ثانية**: زن كلام العالم نفسه في ميزان: الكتاب، والسنة، وفي الأصول التي ذكرها العلماء التي بها يحكم على الرجل أنَّه: خالف منهج أهل السنة والجماعة،

فلا تحكم على عالم من كلام عالم آخر؛ بل اقرأ كلامه وانظر إلى مخالفته وزنها بنصوص الكتاب والسنة، ثم احكم عليه بأنَّه: مخالف.

أمَّا أن يقال: فلان هو المسؤول الوحيد عن الجرح والتعديل، وفلان هو المسؤول عن الحكم على الخلق.

فهذه مصيبة من المصائب، نسأل الله السلامة والعافية؛ لذلك انتبه يا طالب العلم فهذا الباب خطير.

وإنَّها فتنة، أصابت أهل السنة والجماعة: ففرقت جمعهم، ومزقت شملهم، ولا يعني ذلك أبدًا إغلاق باب التبديع، وإنما ضبط له.

واجعل لهذا العلم حظًّا من مسلكك العلمي، كما كان له حظ في طريقة السلف، **فما مقدار الردود والحكم على الرجال في علم السلف؟!** قليل.

فلا تجعله شغلك الشاغل، لا تجعل شبابنا يجتمعون على الجرح والتعديل، يسهرون على الجرح والتعديل، كل مجالسهم غيبة، وقيل وقال، وطعن.

ولو سألت أحدًا منهم: **كم تحفظ من كتاب الله؟ ماذا تحفظ من حديث النبي ﷺ؟ ما المتون العلمية التي ضبطتها وقرأتها؟ ما عبادتك؟ وما مدى إقبالك على ربك؟ ما قدر خوفك وتوكلك ووجلك وحسن ظنك بربك؟ ثم ما مجهودك العلمي في نشر دعوة أهل السنة والجماعة؟**

فبعض الناس لو فتحت صفحته: لا ترى درسًا واحدًا يشرح فيه شيئًا، لا ترى درسًا علميًّا يعبد الخلق لخالقهم؛ كله تبديع في تبديع، وتفسيق في تفسيق.

والمشكلة: أنَّ هذا التبديع يا ليته يوجه إلى أهل البدع من المخالفين لنا، بل إنَّ سهام بعضهم لا تصيب إلا أهل السنة والجماعة.

- وأوصيك يا طالب العلم بقراءة ما حبره الشيخ عبد المحسن العباد في كتابه «رفقا أهل السنة بأهل السنة».

- وكذلك ما كتبه الشيخ العلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «تصنيف الناس بين الحق واليقين».

وختامًا: البدعة قد تتمادى وتَكْبُر وتَكْبُر وتَكْبُر، حتى يصل صاحبها إلى غاية الفساد.

ومثال ذلك: بدعة تتعلق بعلو الله جَلَّوَعَلَا: وهي نفيُ العُلُوِّ؛ صاحب هذه البدعة كي يثبت بدعته وصل به الأمر إلى أنَّه كان يقول في سجوده: سبحان ربي الأسفل!!! تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

فقول الناظم: [وَدِنْ]: أي: تَدَيَّنْ، واجعل دينك، والدِّين: هو الشرع، والدِّين يُستعمل أيضًا بمعنى الجزاء.

مثاله: قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفَاتِحَة: ٤].

قال الناظم: [وَالسُّنَنِ الَّتِي]؛ السنن جَمع سُنَّة، والسنة في اللغة: الطريقة.

وأمَّا في الاصطلاح فيختلف معناها باختلاف مطلقها.

فالسنة عند أهل الاعتقاد: اعتقاد النبي ﷺ، واعتقاد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبذلك تقابل البدعة؛ لذلك كانت كتب العقيدة تسمى السنة، مثل: كتاب «السنة» لابن أبي عاصم و «السنة» للإمام أحمد بن حنبل.

وأمَّا السنة عند المحدثين: فهي كل ما أسند إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خُلُقية، أو صفة خَلْقية.

وأمَّا السنة عند الفقهاء: فهي ما أمر به الشرع أمرًا غير لازم؛ وتسمى: المندوب والمستحب.

ويعرفها بعضهم بقوله: ما يثاب فاعله، ولا يعاقب تاركه.

۞ ۞ ۞

صفة الكلام لله

صفة الكلام لله

قال الناظم بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقُلْ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلامُ مَلِيكِنَـــــا ... بِـذَلِكَ دَانَ الأَتْقِياءُ، وأَفْصَحُـــــوا

وَلا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِـــــلًا ... كَمَا قَالَ أَتْباعٌ لِجَهْمٍ، وَأَسْجَحُـــــوا

وَلَا تَقُلِ: الْقُـــــرْآنُ خَـلْـقٌ قَرَأْتُهُ، ... فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ بِاللَّفْـــــظِ يُوضَحُ،

❁ مسألة خلق القرآن:

من المسائل العقدية المشهورة في تاريخ الإسلام: مسألة القول بخلق القرآن، وهي من المسائل التي وقع فيها خلاف بين أهل السُّنَّة والجماعة وبين غيرهم؛ فانقسم الناس فيها إلى عدة فرق؛ هي:

الفرقة الأولى: أهل السُّنَّة والجماعة.

فأهل السُّنَّة والجماعة يقولون عن القرآن: هو كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، بصوتٍ وحرفٍ مسموعٍ.

والدَّليل على أنَّه كلام الله:

يقول ربنا جَلَّوَعَلَا في القرآن: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التَّوبَة: ٦].

وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١٦٤].

والدليل على أنَّ القرآن منه بدأ:

قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النَّحل: ١٠٢].

فابتداء تنزل القرآن كان من عند الله جَلَّوَعَلَا.

والله جَلَّوَعَلَا أضاف القرآن إلى جبريل في آية، قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾ [التَّكوير: ١٩ – ٢١].

وأضافه إلى النبي ﷺ في آيةٍ أخرى، قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١﴾ [الحاقَّة: ٤٠ – ٤١].

وإضافة القرآن إلى جبريل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ وإلى النبي ﷺ تسمى: إضافة تبليغ؛ أي الذِّي بلغه عن الله جَلَّوَعَلَا.

فالله تكلم بالوحي فسمعه منه جبريل، فنزل به على النبي ﷺ؛ والكلام ينسب لقائله ابتداء.

والدَّليل على أنَّه بصوت:

١. حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عند البخاري معلقًا، ووصله بسند صحيح في كتابه «خلق أفعال العباد»: أنَّ النبي ﷺ قال: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بالوَّحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّماء».

٢. وفي البخاري معلقًا، ووصله أيضًا في كتابه «خلق أفعال العباد» [1] من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ».

ومعنى الكلام عند العرب إذا أطلق: ألفاظ مسموعة، ومعان مراده.

(١) (ص٩٧-٩٨).

والدليل على أنَّه بــحرف:

قول النبي ﷺ في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا أقولُ ألم حرفٌ ولكنْ ألفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ وميمٌ حرفٌ»؛ رواه الترمذي[١].

وقول الناظم:

وَقُلْ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ......

اعلم يا مسلم: أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا هو الخالق، وكلامه صفةٌ له، وصفاتُ الله جَلَّ وَعَلَا ليست مخلوقة، فلو كانت الصفات مخلوقة؛ يكون: الله جَلَّ وَعَلَا قد خلق صفةً له، وهذا كلام باطل، كلام تقشعر منه الأبدان، ولا يقوله عاقل إلَّا من أزاغ الله قلبه جَلَّ وَعَلَا.

مسألة: هل ورد عن السلف نفي صفة الخلق عن القرآن؟

أولًا لم يثبت في نفي صفة الخلق عن القرآن: حديثٌ مرفوع عن النبي ﷺ، وقد رويت بعض الآثار عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولكنها لا تثبت كذلك؛ **منها:**

ما أخرجه الآجري[٢] بسند ضعيف عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في تفسير قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزُّمَر: ٢٨] قال: «غير مخلوق».

ولكن ثبت هذا عن التابعين وأتباعهم؛ **من ذلك:**

١. ما رواه البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد»: فعن سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ: «أَدْرَكْتُ مَشَايِخَنَا مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ»[٣].

---

(١) برقم (٢٩١٠) وصححه الألباني.

(٢) الشريعة (٧٧).

(٣) خلق أفعال العباد (٢٩).

٢. وروى الإمام أحمد في كتابه «السنة»(١): فعن عليِّ بنِ الحُسَينِ أنَّه قال في القُرْآنِ: «ليس بخالقٍ ولا مخلوقٍ، ولكِنَّه كلامُ اللهِ».

٣. وروى الإمام أحمد في «السنة» (٢) عن عبد اللهِ بن المبارَك قال: «من قال: القُرْآنُ مخلوقٌ، فهو زِنديق».

۞ آثار القول بخلق القرآن:

إنَّ للقول بخلق القرآن جملة من الآثار القبيحة التي ينبغي أن يعلمها المسلم؛ كي يحذر من هذه العقيدة الفاسدة.

فقد يقول قائل: **ماذا لو قلنا بخلق القرآن؟ وما الذي يترتب على هذا؟**

الجواب: يترتب على هذا:

أولاً: نفي صفة من صفات الله جَلَّوَعَلَا، إنَّ القول بخلق القرآن: هو نفي صفة الكلام عن الله جَلَّوَعَلَا.

ثانيًا: من زعم بأنَّ الله جَلَّوَعَلَا لا يتكلم: فقد وقع في انتقاص الله العظيم؛ لأنَّه شبهه بالجامدات التي لا تتكلم.

فالكلام صفة كمال، وعدم الكلام نقصٌ، فالذي قال: "الله لا يتكلم": اتَّهم اللهَ بالنقص، وتعطيل صفة الكلام: طعنٌ في صفات الله جَلَّوَعَلَا.

وتأملوا في قول الله جَلَّوَعَلَا لقوم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لَمَّا اتخذوا العجل: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

---

(١) السنة (١/١٥٣).

(٢) السنة (١/١١١).

فقال لهم منكرًا عليهم: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

وقبله الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال للأصنام -قال الله حاكيا عنه-: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ [الصافات: ٩٢ - ٩٣].

فعدم النطق، وعدم الكلام: صفة نقص، لا تليق في حق الخالق جَلَّ وَعَلَا، فالله متكلمٌ وقادرٌ على الكلام، يتكلم كيفما شاء: جلَّ عن الشبيه وجل عن النظير.

ثالثًا: حقيقة القول بخلق القرآن ونفي صفة الكلام عن الله جَلَّ وَعَلَا: هو نفي لربوبيته جَلَّ وَعَلَا؛ لأنَّ الله جَلَّ وَعَلَا يخلق بكلامه.

فقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

فإذا كان الله عَزَّ وَجَلَّ لا يتكلم فقد انتفى الخلق؛ فانتفت ربوبية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على خلقه.

رابعًا: نفي كلام الله جَلَّ وَعَلَا يقتضي نفي ألوهيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فإنَّ الإله لا بد أن يتكلم.

والذي لا يتكلم لا يستحق: أن يكون إلهًا يعبد؛ لذلك قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في شأن عجل بني إسرائيل: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

خامسًا: إنَّ القول بخلق القرآن ذريعة للاستهانة به وتحقيره، ونفي قدسيته.

سادسًا: إنَّ القول بخلق القرآن، ذريعة إلى الانسلاخ من أحكامه والتحلل من ربقة اتباعه، ولازمه إسقاط لشريعة محمد ﷺ ورسالته[1].

---

(١) انظر: شرح حائية ابن أبي داود للشيخ صالح سندي؛ وهو شرح صوتي على شبكة الإنترنت.

والدليل على أنَّ القرآن إليه يعود:

ما جاء في حديث حذيفة وابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وغيرهم، عن النبي ﷺ أنَّه قال في ذكر علامات الساعة الكبرى في آخر الزمان: «وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ»؛ رواه ابن ماجه[1] وصححه الألباني.

۞ الفرق التي ضلت في هذا الباب:

الفرقة الأولى: الجهمية:

وهي فِرقةٌ مِن غُلاةِ المرجئة، ينتسِبونَ إلى الجهم بن صفوان المقتولِ سنةَ ١٢٨هـ: وهو تلميذ الجَعْد بن درهم الذي قتَله خالد بن عبد الله القَسْريُّ سنة ١٢٤هـ بسبب الزَّندقة والإلحاد.

والجهمية قالوا: القرآن مخلوق، والله جَلَّوَعَلَا لا يتكلم، وقد عطَّلوا جميع الصفات، فالجهمية هم نفاةُ الصفات، فيقولون: لا سميع، ولا بصير، ولا عليم، ولا شيء.

وهم من أكثر الفرق ضلالة وانحرافًا؛ بل قد كفَّرَهُم أهل السُّنَّة والجماعة، ونقل عن خمسمائة عالم من أهل السُّنَّة والجماعة ممن قالوا: بكفرهم.

وفي ذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في «نونيته»:

ولقد تقَلَّدَ كُفْرَهم خَمْسُون في ... عَشْرٍ مِنَ العلماءِ في البُلْدَانِ

واللالكائيُّ الإمامُ حكاه عنهم ... بل حكاه قَبْلَه الطَّبَرَاني

ولكن لا بد من التنبيه على مسألة مهمة جدًا: وهي أنَّنا إذا قلنا: إنَّ أهل السُّنَّة والجماعة يكفرون الجهمية: لا يعني ذلك أنَّهم يكفرون الأعيان، كما هو معلوم في

(١) برقم (٤٠٤٩).

منهج أهل السنة في باب التكفير، ولا سيما تكفير المعين؛ فلا بد من تحقق شروط وانتفاء موانع.

الفرقة الثانية: المعتزلة:

وهي فرقة ظهرت في أوائل القرن الهجري الثَّاني، أَسَّسها: واصل بن عطاء، الذي كان في حَلْقة الحسن البصري ثُمَّ اعتزله بسبب اختلافه معه في حُكمِ مرتكب الكبيرة -وسيأتي تفصيلها- فسموا: بالمعتزلة.

والمعتزلة قالوا عن القرآن: هو كلام الله، لكنه مخلوق، فإضافته إلى الله من إضافة المخلوق إلى الخالق، مثل: بيت الله، وناقة الله.

ومن أبرز أدلة الجهمية والمعتزلة على أنَّ القرآن مخلوق:

قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزُّخرُف: ٣] حيث قالوا: إنَّ "جعل" بمعنى: خلق؛ وهذا غير صحيح.

فجعل في العربية، تأتي بمعنى: خلق، وذلك إذا دلت على الإنشاء من عدم، وتنصب مفعولًا به واحدًا؛ مثل قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعَام: ١].

وتأتي بمعنى: صَيَّر، وتنصب مفعولين؛ مثل قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزُّخرُف: ٣]؛ أي هذا الوحي لم يجعله إنجيلًا، ولا زبورًا، ولا توراةً، وإنما صَيَّره قرآنًا.

ولو كانت "جعل" في القرآن بمعنى خلق فقط، **فكيف يصنعون بقوله** جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٤]؛ **فهل جعل هنا بمعنى خلق؟!**

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحِجر: ٩١]، وقوله: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النَّحل: ٩١].

الفرقة الثالثة: **الأشاعرة والماتريدية:**

الأشاعرة: هم أتباع أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤هـ، والماتريدية: أتباع أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي المتوفى سنة ٣٣٣هـ.

وهم الذين يقولون عن كلام الله: أنَّه كلام نفسي؛ أي أنَّ المعنى من الله عَزَّوَجَلَّ أمَّا اللفظ فليس من الله؛ بل خلقه كما خلق الكلام في الشجرة التي كلمت موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -والعياذ بالله-.

وبداية نشأة عقيدة الكلام النفسي: هي أنَّ ابن كُلَّاب وأصحابه، حاولوا الرَّدَّ على المعتزلة من طريق العقل، مع بعدهم عن أصول السُّنَّة، وما كان عليه السَّلَفُ.

فهم لا يحتجُّون بالأخبار الواردة في ذلك: زعمًا منهم أنَّها أخبار آحاد، وهي لا توجِبُ عِلمًا.

وألزمَتْهم المعتَزِلةُ: أنَّ الاتِّفاقَ حاصلٌ على أنَّ الكلامَ حرفٌ وصوتٌ، ويدخُلُه التعاقبُ والتأليفُ.

وذلك لا يوجد في الشَّاهد إلَّا بحركة وسكون، ولا بدَّ له من أن يكون ذا أجزاء وأبعاض؛ وما كان بهذه المثابة: لا يجوز أن يكون من صفات ذات الله.

وذلك لأنَّ ذاتَ اللهِ سُبحانَه لا تُوصف بالاجتماع والافتراق، والكُلِّ والبعض، والحركة والسُّكون، وحكم الصِّفة الذاتيَّة: حُكم الذَّات.

قالوا: فعُلِم بهذه الجملة: أنَّ الكلام المضاف إلى الله سبحانه خلْقٌ له، أحدَثَه وأضافَه إلى نفسه، كما تقول: عبد الله، وخَلْقُ اللهِ، وفِعْلُ اللهِ.

فضاق بابن كُلَّاب وأضرابه النَّفَسُ عند هذا الإلزام؛ لقلَّة معرفتهم بالسُّنن، وتركِهم قَبولَها، وتسليمِهم العِنانَ إلى مجرَّد العقل، فالتزموا ما قالته المعتزلة، وخرقوا الإجماع المنعقد بين الكافَّة المسلم والكافر.

وقالوا للمعتزلة: الذي ذكرتموه ليس بحقيقة الكلام، وإنَّما يُسمَّى ذلك كلامًا على المجاز؛ لكونه حكاية أو عبارة عنه، وحقيقة الكلام: معنًى قائم بذات المتكلِّم... ثمَّ خرجوا من هذا إلى أنَّ إثبات الحرف والصَّوت في كلام الله سبحانه: تجسيم، وإثباتَ اللُّغة فيه تشبيهٌ[1].

واعلم يا طالب العلم:

أنَّ أول من قال بهذه البدعية الشنيعة: هو أبو محمد عبدالله بن سعيد بن كُلَّاب المتوفى سنة ٢٤٠هـ.

والفرق بين الماتريدية والأشاعرة في هذا الباب:

- أنَّ الماتريدية بقوا على قول ابن كلاب في أنَّ القرآن حكاية عن كلام الله؛ فاستدرك عليهم أبو الحسن الأشعري في أنَّ الحكاية تكون مثل المحكي؛ فالأليق والأنسب أن نقول: عبارة عن كلام الله؛ وكلا طرفي الأمور ذميم.

ثم تأمل في تلك اللوازم الباطلة التي ألزموا أنفسهم بها، إذا أثبتوا صفة الكلام؛ فالكلام عندهم لا بد له من مخارج حروف وهواء؛ تعالى الله عما يقول الظالمون.

(١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ١١٥ - ١١٩) باختصار وتصرف.

ولو أنَّهم لزموا الكتاب والسنة وما عليه السلف: لأثبتوا الكلام مع تنزيه الخالق عن الشبيه والنظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشُّورَىٰ: ١١]

ومن العجاب، أنَّهم يستدلون على هذه العقيدة الفاسدة: بقول ينسب للأخطل:

إنّ الْكَلَام لفي الْـفُـؤَاد وَإِنَّـمَـا ... جُـعِـلَ الـلِّـسَـانُ على الْـفُـؤَاد دَلِيلا

والشاهد فيه: أنَّه سمَّى ما في الفؤاد من المعاني كلامًا.

ومبدأ العجب: أنَّهم لا يقبلون الاستدلال بأحاديث الآحاد على مسائل العقيدة، ثم يستدلون ببيت مصنوع منسوب للأخطل، وفي ثبوته عنه نظر.

وعلى فرض صحته فإنَّه: نصراني، وليس من اللائق: أن يستدل بكلام قوم ضلوا في معنى الكلام نفسه؛ حيث زعموا أنَّ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو نفس كلمة الله، واتحد اللاهوت بالناسوت.

ورحم الله الإمام ابن القيم حيث قال في «نونيته»:

ودَلِيلُـهُـمْ فِي ذَاكَ بَـيْـتٌ قَـالَهُ ... فِـيمَـا يُـقَـالُ الأَخْـطَـلُ النَّصْرَانِي

يَـا قَـوْمُ قـدْ غَلِطَ النَّـصَـارَى قَبْلُ فِي ... مَـعْنَى الكَلَامِ ومَـا اهْـتَـدَوْا لِبَـيَـانِ

ولأَجْـلِ ذَا ظَـنُّـوا المـسِـيحَ إِلَـهَـهَـمْ ... إذ قِـيـلَ كِلْـمَـةُ خَـالِـقٍ رَحْمَـنِ

ولأَجْـلِ ذَا جَـعَـلُـوهُ نَـاسُـوتًـا وَلَا ... هُـوتًـا قَـدِيـمًـا بَـعْـدُ مُـتَّـحِـدَانِ

الفرقة الرابعة: الواقفة:

وهم الذين يقولون: ليس بمخلوق ولا غير مخلوق؛ فيتوقفون؛ فسُمُّوا: بالواقفة.

وقد ظهرت هذه الفرقة: لما نصر الله الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وظهرت السُّنَّة بعد تولي المتوكل الخلافة.

فخاف أتباع المعتزلة من إظهار عقيدة خلق القرآن، فقالوا: بالتوقف تَقيَّةً ومداهنة لما ظهرت السنة؛ لذلك كان الإمام أحمد يقول عن الواقفة: شرُّ الطوائف.

وإليهم أشار الناظم بقوله:

وَلا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِـــلًا   كَمَا قَالَ أَتْباعٌ لِجَهْمٍ، وَأَسْجَحُـــوا

ومعنى قوله: أسجوا: أي موَّهوا وعرضوا، من السَّجْح؛ فالعرب تقول: سجحتُ له بالكلام؛ أي عرَّضت بمعنى من المعاني[1].

وجاء في بعض نسخ الحائية: «وَأَسْمَحُوا» أي تَسَمحوا بالقول في خلق القرآن وتساهلوا فيه.

الفرقة الخامسة: القائلون ببدعة اللفظية: وهم الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوقٌ؛ وقولهم هذا يحتمل الصواب، ويحتمل الخطأ.

فإذا قصد القائلُ: حركةَ اللسان ونطق القارئ: فلا شك أنَّه مخلوق.

وأمَّا إذا قصد الكلام الذي قرأه القارئ: فلا شك أنَّه غير مخلوقٍ، وأنَّ هذا مشابه لقول الجهمية والمعتزلة والعياذ بالله، فالصوت صوت القاري والكلام كلام الباري، وإلى هذه الفرقة أشار الناظم بقوله:

وَلا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِـــلًا......

وضبطت في بعض النسخ: قراءة بدل: قرأته.

(١) لسان العرب: (٢/ ٤٧٥).

شبهة وردٌّ:

هل يلزم من إثبات صفة الكلام: أنَّ صفة الله حالة في خلقه؟ وأنَّ القرآن الذي بين أيدنا هو عين الصفة؟

الجواب: لم يقل أحد من أهل السنة: أنَّ صفة الكلام حالة في خلقه، وأنَّ القول: بأنَّ القرآن هو عينُ كلام الله، يستلزم: أنَّ المتلوَّ عينُ صفةِ كلام الله؛ لأنَّ القائلين بذلك أرادوا أنَّ القران كيفما تصرف: هو كلام الله.

وللجواب على هذه الشبهة، لا بد من معرفة مراتب وجودية القرآن.

مراتب وجودية القران:

للقرآن الكريم مراتب وجودية؛ من ضبطها سهل عليه رد شبه المبطلين، وأحكم هذا الباب إحكامًا حسنًا متينًا.

المرتبة الأولى: وجود عيني: وذلك حين تكلم به الله جَلَّوَعَلَا لجبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ.

المرتبة الثانية: وجود لفظي: وهو لفظ المسلم بتلاوة القرآن.

المرتبة الثالثة: وجود ذهني: وهو وجوده في أذهان الحفَّاظ والعلماء وصدورهم.

المرتبة الرابعة: وجود كتابي: وهو الموجود في المصاحف[(١)].

لذلك نقول: القرآن: هو صفة الله لما تكلم به في مرتبة الوجود العيني.

والفكرة التي تأتي في عقول بعض الناس فيهرُبون منها: هي أنَّهم من جهلهم يقولون: إذا أثبتنا لله كلامًا شبهناه بالمخلوق!.

ومَن قال لك: **إنَّ كلام الله ككلام المخلوقين؟!**

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/٢٣٩).

إنَّ ذات الله جَلَّوَعَلَا لا تشبه ذوات البشر، والصفات تبعٌ للذات، كما سيأتي في باب الأسماء والصِّفات.

يحسن التنبيه: أنَّ البدعة -بدعة اللفظية-: اتُّهِم بها الإمام البخاري اتِّهامًا باطلًا، وقد ذكر بعض الذين يُشَغِّبون على الإمام البخاري أنَّه قال: ببدعة اللفظية، بل بخلق القرآن.

وهذا ليس صحيحًا، وقد رد هذه الشبهة بنفسه؛ فقد: قال محمَّدُ بنُ نَصر المَرْوَزي: سمعتُ البخاريَّ يقول: «مَن زعمَ أني قلتُ: لفظِي بالقرآن مخلوقٌ، فهو كَذّاب، فإني لم أقله.

فقلتُ له: يا أبا عبد الله، قد خاضَ النَّاسُ في هذا وأكثروا فيه.

فقال: ليس إلا ما أقولُ وأحكي لك عنه»[(١)].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٣٥٤)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٥٧-٤٥٨).

إثبات رؤية الله تعالى

إثبات رؤية الله تعالى

قال الناظم بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقُلْ: يَتَجَلَّى اللهُ لِلْخَلْـقِ جَهْــــرَةً كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَـــحُ

وَلَيْسَ بِمَوْلُـــودٍ، وَلَيْسَ بِـــوَالِدٍ وَلَيْـسَ لَهُ شِبْــــهٌ تَعَالَى الْمُسَبَّحُ

وَقَدْ يُنْكِرُ الجهْــمِيُّ هَذَا، وَعِنْــدَنَا بِمِصْـــــدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيْثٌ مُصَرَّحُ

رَوَاهُ (جَرِيــرٌ)، عَنْ مَقَــالِ (مُـحَمَّدٍ) فَقُــلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَــالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

***

هذه المسألة يسميها أهل الاعتقاد: صفةُ تجلي الرَّبِّ جَلَّوَعَلَا لعباده، ويسمونها اسمًا آخر فيقولون: إثبات رؤية المؤمنين لربهم، والرؤية ملازمة لهذا التجلي.

ويندرج تحتها جملة من الأمور:

المسألة الأولى: هل يُرى اللهُ جَلَّوَعَلَا في الدنيا؟

اتفاقًا لا يرى الله جَلَّوَعَلَا في الدنيا، وقد قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعَام: ١٠٣].

ولما سأل موسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ الله أن يراه، فقال الله حاكيًا عنه: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعرَاف: ١٤٣]، قال له الله جَلَّوَعَلَا: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعرَاف: ١٤٣].

المسألة الثانية: هل رأى النبي ﷺ ربَّه في رحلة المعراج؟

اختلف السَّلف في هذه المسألة وعلى رأسهم الصَّحابة على قولين:

القول الأول: ذهب جمهور السلف؛ ومنهم: عائشة، وابن مسعود، وأبو هريرة، وكثير من الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- والتابعين: إلى أنَّ النبي ﷺ لم ير ربه بعين رأسه ليلة المعراج، وإنما رآه بقلبه.

واستدلوا:

١. بحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الْأُفُقِ»؛ رواه البخاري ومسلم[(١)].

٢. وفي البخاري ومسلم[(٢)] أيضًا عن مسروق قال: «كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ.

قُلْتُ: مَا هُنَّ؟

قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ.

قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي وَلَا تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التَّكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النَّجم: ١٣].

فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ،

---

(١) البخاري (٣٠٦٢)، مسلم (١٧٧).
(٢) برقم (٤٥٧٤).

لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ.

فَقَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشُّورَىٰ: ٥١]».

٣. واستدلوا بحديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم(١) قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟

قَالَ: نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ».

القول الثاني: إثبات الرؤية بعين الرأس؛ فقد ذهب بعض السلف، وعلى رأسهم ابن عباس وأبي ذر وكعب الأحبار -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-: إلى أنَّ النبي ﷺ رأى ربَّه بعين رأسه ليلة المعراج.

فقد روي عن ابن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه قال: «إنَّ الله اختص موسى بالكلام، ومحمدًا بالرؤية، وإبراهيم بالخلة»؛ رواه الديلمي من حديث جابر، وهو حديث موضوع كما قال الألباني(٢)، وروي موقوفًا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند الطبراني وضعفه الألباني(٣).

والأقرب: هو القول الأول؛ وهذه المسألة من مسائل فروع العقيدة، والتي يسوغ فيها الخلاف؛ فلا يبدع فيه المخالف.

(١) برقم (١٧٨).
(٢) انظر: الديلمي (١/ ٢/ ٢٢١ - ٢٢٢)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٠٤٩).
(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٠٤٨).

المسألة الثالثة: هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة وفي الجنة؟

اختلف أهل السُّنَّة والجماعة مع غيرهم في هذه المسألة: فأهل السُّنَّة والجماعةِ: يثبتون رؤية المؤمنين لربِّهم جَلَّوَعَلَا يوم القيامة وفي الجنة.

استدلالًا بجملة من الأدلة، من أعظمها:

١. قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يُونُس: ٢٦] وقد فسَّر النبي ﷺ الزيادة برؤية الله.

فقد أخرج مسلم[1] من حديث صُهيب بن سِنان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، قال: يقولُ اللهُ تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدُكم؟

فيقولون: ألم تُبَيِّضْ وُجوهَنا؟ ألم تدخِلْنا الجنَّةَ وتنَجِّنا من النَّارِ؟

قال: فيَكشِفُ الحجابَ، فما أُعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النَّظَرِ إلى ربِّهم عزَّ وجَلَّ»

وفي روايةٍ: «ثُمَّ تلا هذه الآيةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يُونُس: ٢٦]».

٢. قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القِيَامَة: ٢٢ - ٢٣]؛ فأعظم نعيم يكون لأهل الجنة: هو رؤية الله جَلَّوَعَلَا.

وقد قال سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن المجرمين: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المُطَفِّفِين: ١٥].

فلما حجب الله جَلَّوَعَلَا المجرمين عن رؤيته، دل على أنَّ غير المجرمين يرون ربهم.

وهذا يسمى: مفهوم المخالفة.

---

(١) برقم (١٨١).

والمؤمن حينما يقرأ مثل هذه الآيات ويقف عند هذه المسائل، ينبغي عليه:

- أن يستحضر عظمة خالقه.
- وأن يستحضر ذلك الموقف العظيم.
- وأن يستحضر القيامة وأهوالها.
- وأن يستحضر أعماله الصالحة.
- وأن يستحضر أعماله القبيحة التي قد تحول بينه وبين رؤية الله جَلَّوَعَلَا.

والمؤمن العاقل، إذا كان يعلم أنَّه مقبلٌ على الله، وواقفٌ بين يدي الله جَلَّوَعَلَا، وناظرٌ إلى ربه، فحريٌ به ألَّا يرى الله منه قُبحًا ولا سوءًا.

تخيل في الدنيا لَمَّا يقال: إنَّ فلان سيراك أو سيقابلك، ستخرج بأحسن صورة وأحسن مظهر ليراك، فما بالك يا عبد الله: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ﴾ [غَافِر: ١٦].

يوم تبرز لله جَلَّوَعَلَا كي تراه ويراك، لذا لا أدري **كيف حال مَن سيأتي يوم القيامة بمعاصٍ؟!!! بأي عينٍ سينظر إلى خالقه؟!**

إذا كنت في الدنيا، إن أسأت بحق إنسانٍ، والله إنك لا تستطيعُ النظرَ إليه، **فكيف بمن سيأتي يوم القيامة وهو محمَّلٌ بالخطايا والذُّنوب؟!! كيف سينظر إلى خالقه؟!!**

نسأل الله العظيم ألَّا يحرمنا لذة النظر إلى وجهه الكريم.

وأدلة إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة من السُّنَّة: متواترة، وقد قال الشاعر(١):

---

(١) انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر لمحمد بن جعفر الكتاني (ص ١٨).

مِـمَّـا تَـواتَـرَ حَـدِيـثُ مَـنْ كَـذَبْ وَمَـنْ بَنَى لِلَّهِ بَيْـتًـا وَاحْتَـسَـبْ

وَرُؤْيَـــةُ شَـفَـاعَـةٍ وَالْحَـــوْضِ وَمَـسْـحُ خُـفَّـيْـنِ وَهٰـذِي بَـعْـضُ

فهذان البيتان يمثل فيهما الشاعر على الأحاديث المتواترة، ومنها أحاديث الرؤية؛ ومنها:

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنَّا جُلوسًا عندَ النَّبيِّ ﷺ إذ نظَرَ إلى القَمرِ ليلةَ البَدرِ -قال النبي ﷺ-:

إنَّكم ستَرَونَ ربَّكم كما ترَونَ هذا القَمرَ، لا تُضامُّونَ في رُؤيتِه؛ فإنِ استطَعْتُم أن لا تُغلَبوا على صلاةٍ قَبلَ طُلوعِ الشَّمسِ، وصلاةٍ قَبلَ غُروبِ الشَّمسِ، فافعَلوا»[١].

❁ الفرق المخالفة في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة:

الفرقة الأولى: المعطلة من الجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم: من الخوارج، والإباظية، والروافض، وبعض الزيدية والمرجئة؛ حيث ذهبوا إلى نفي رؤية الله تعالى في الآخرة، وحرفوها إلى معنى العلم به ومعرفته تعالى.

الفرقة الثانية: وهم جمهور الأشاعرة المتأخرون، فقد ذهبوا إلى القول: بأن الله يرى بلا جهة؛ فأثبتوا رؤية الله في الآخرة لورود النصوص والإجماع على ذلك، لكنهم جعلوا ذلك إلى غير جهة.

الفرقة الثالثة: ذهب أيضًا بعض الأشاعرة إلى القول: بأن المقصود بالرؤية كشفٌ وزيادةُ علمٍ بالله جَلَّ وَعَلَا [٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣).

(٢) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي (ص ٤٥).

أدلة منكري الرؤية:

ذكر نفاة الرؤية جملة من الأدلة الشرعية والعقلية، مستدلين بها على مذهبهم الباطل؛ **منها:**

١. قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فقالوا: نفى الله الإدراك مقرونًا بالبصر، وهذا لا يحتمل إلا الرؤية، وهو عام في جميع الأوقات.

ويجاب عنه: بأنَّ الله جَلَّوَعَلَا إنما نفي الإدراك، وللإدراك في اللغة معنى زائد على النظر والرؤية، وهو: الإحاطة.

وقد جاء هذا التفسير عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وجماعة من السلف(١)، والإدراك بلا شك منفي عن الله جَلَّوَعَلَا على كل حال في الدنيا والآخرة، ولا يدل على نفي الرؤية؛ وأنت ترى السماء ولكنك لا تحيط بها.

وعلى فرض: أنَّ معنى الإدراك هنا الرؤية، فيكون المعنى: نفي رؤيته في الدنيا، وهذا لا نزاع فيه كما تقدم.

٣. قوله الله جَلَّوَعَلَا لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣].

حيث قالوا: "لن" في اللغة تفيد نفي الرؤية على التأبيد؛ فإن قلت: لن أذهب فإنك لن تذهب إلى الأبد.

فأجابهم أهل السُّنَّة والجماعة بأنَّ: "لن" لا تفيد تأبيد النفي.

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٤٥٩).

بدليل أنَّ ربنا جَلَّ وَعَلَا قال عن الكفار وتمنيهم للموت: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البَقَرَة: ٩٤ - ٩٥].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزُّخرُف: ٧٧] وهذا تمنٍ للموت.

ومن أجمل ما قيل في الرد عليهم قول ابن مالك صاحب الألفية [(١)]:

ومَــن رأى النَّفْيَ بـلَـنْ مُـؤبَّـدا ... فـقَــوْلَه ارْدُد وسِــواه فـاعْـضـدا

قال أبو القاسم السهيلي: «إنَّ العرب إنما تنفي بـ"لن" ما كان ممكنًا عند الخطاب مظنونًا أنه سيكون.

فتقول له: "لن يكون" لما يمكن أن يكون؛ لأن "لن" فيها معنى "أن"، وإذا كان الأمر عندهم على الشك لا على الظن، كأنه يقول: أيكون أم لا يكون؟

-قلت: في النفي لا يكون- وهذا كله مُقوٍّ لتركيبها من "لا" و"أن"» [(٢)].

ومن الإجابات أيضًا: أنَّه سبحانه علق الرؤية على استقرار الجبل؛ وهذا تعليق على ممكن الوقوع، وهذا يدل على عدم أبدية نفيها.

وأمَّا معنى قول الله تعالى لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعرَاف: ١٤٣] فهو: لن تراني في الدنيا.

ولهم أدلة عقلية ترجع كلها إلى أصلهم الفاسد الذي يستند إلى العقل، ويقدمه على النقل؛ **منها:**

---

(١) شرح الكافية الشافية (٣/ ١٥١٥).

(٢) نتائج الفكر في النَّحو (ص ١٠٣).

- أنَّ كل ما كان مرئيًا، فلا بد له من لون وشكل، ودليله الاستقراء، والله تعالى منزه عن ذلك، فوجب: ألا يرى، فلا يرى إلا الأجسام.

- وبدليل الانطباع: وهو أنَّ كل ما يكون مرئيًا: فلا بد أن تنطبع صورته، ومثاله في العين، والله تعالى يتنزه عن الصورة والمثال، فوجب أن تمتنع رؤيته.

- وبدليل المقابلة: وهو أنَّ الرؤية تقتضي مقابلة المرئي للرائي، وإذا كان كذلك فتكون الرؤية ممتنعة في حق الله عَزَّوَجَلَّ.

- وبدليل الموانع: ومعناه أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يُرى لاستحالة رؤيته، لوجود موانع معقولة من الرؤية؛ وهي: الحجاب، والرقة، واللطافة، والبعد المُفرِط، وكون المرئي في غير جهة محاذاة الرائي.

وكون محله ينقض هذه الأوصاف، وشيء منها لا يجوز على الله تعالى بحال من الأحوال.

وهذه الشبه العقلية التي تدل على بعد القوم عن نور الوحي المبين؛ فضلًا عن سلامة العقل والفطرة؛ وكفى بها شرًّا وضعفًا أنَّها تقوم على إخضاع الخالق لقانون العقل البشري؛ وهي أدلة مبنية على مفاهيم بشرية للرؤية، لا تلزم في حق الله جَلَّوَعَلَا.

وجميعها -بفضل الله- يردُّها: قول ربي سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشُّورَىٰ: ١١].

فرؤية الله ليست كرؤية المخلوق، ولا يلزم من رؤيته: أن يكون جسمًا، أو أن يكون في جهة، أو أن يكون له صورة أو لون؛ لأنَّ الله تعالى ليس كمثله شيء.

ولو أنَّهم أثبتوا الرؤية: ونزهوا الله عن الشبيه، والمثيل، والنظير لأراحوا واستراحوا؛ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحَج: ٤٦].

ويحسن التنبيه إلى أنَّ الأصول التي تبنى عليها العقيدة: هي الكتاب والسنة، بفهم سلف الأمة، من الصحابة والتابعين.

وأمَّا العقل: فهو وسيلة لفهم الكتاب والسنة، وليس أصلًا تبنى عليه العقيدة، فالعقل محجوب عن اكتشاف الغيبيات؛ وهو تابع للدليل وليس العكس.

ثم قال الناظم:

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ، وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى الْمُسَبَّحُ

نفى الناظم عن الله جَلَّوَعَلَا في هذا البيت: أن يكون مولودًا أو أن يكون له ولد، فالله منزه عن ذلك.

وإنَّ أعظم طريقة شيطانية يمكن أن يأتيك بها الشيطان فيصور لك صورة الرحمن، فإنَّها تدفع بقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشُّورَىٰ: ١١].

وبقوله في سورة الإخلاص قال: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلَاص: ٤]؛ فالكُفْؤُ: المثيل والنظير.

فالله جَلَّوَعَلَا ليس له شبهٌ، وإذا أدرك العبد أنَّ الله لا يشبهه شيء، فسيستريح ويغلق باب الوسوسة عليه؛ ولعل الناظم أراد: أن يرد على بعض نفاة الرؤية؛ لأنَّهم -كما تقدم- قالوا: إذا أثبتنا لله الصفات شبهناه بخلقه، وحاشاه جل وعلا.

۞ قاعدة في طريقة طرد الوساوس:

إذا جاءك الشيطان فوسوس لك، وأقع في قلبك تخيلات لربّ العزة والجلال، **فاطرده بهذه القاعدة:**

كل ما يتخيله الإنسان في عقله فهو مخلوق

لأنَّك لا تتخيل إلا شيئًا رأيته، أو صفات متفرقة تجمِّعها في ذهنك، فعقل الإنسان:

- إمَّا أن يتخيل شيئًا رآه.

- وإمَّا أن يتخيل صفات يجمعها فيراها.

ثم قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقَدْ يُنْكِرُ الجهْـــمِيُّ هَذَا، وَعِنْـــدَنَا ... بِمِصْــــدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيْثٌ مُصَرَّحُ

رَوَاهُ (جَرِيــرٌ)، عَنْ مَقَــالِ (مُـحَمَّدٍ) ... فَقُــلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَــالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

يشير الناظم إلى حديث جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في إثبات رؤية المؤمنين لربهم؛ وقد تقدم ذكره في أدلة إثبات الرؤية.

۞ ۞ ۞

أصول و قواعد في صفات الله تعالى

أصول و قواعد في صفات الله تعالى

وقبل الكلام عن صفة اليد لله جَلَّ وَعَلَا؛ لا بد من مقدمة نبين فيها منهج أهل السنة في باب الصفات.

❁ **مذهب أهل السنة في صفات الله جَلَّ وَعَلَا:**

أهل السنة والجماعة يُثبتون ما أثبته الله لنفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، ويُثبتون لله ما أثبته له رسوله ﷺ، وينفون عن الله جَلَّ وَعَلَا ما نفاه عنه النبي ﷺ، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وباب الصفات -ومنها صفة اليد-: ضلت فيه كثير من الفرق، فانحرفت عن جادة أهل السنة والجماعة، وعن منهج السلف.

ويذكر أهل السنة جملة من التقسيمات والقواعد؛ لإحكام ضبط هذا الباب العظيم؛ منها:

أوَّلًا: النفي والإثبات:

يقوم مذهب أهل السنة والجماعة على أصلين عظيمين، يضبطان للمسلم هذا الباب؛ وهما:

الأصل الأول: إثبات بلا تمثيل.

فنثبت لله: يدًا، ووجهًا، ونزولًا، وغيرها من الصفات، ولكن لا نمثلها بصفات

المخلوقين، فنثبت له يدًا ليست مثل أيدي المخلوقين؛ لأنَّه قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشُّورَىٰ: ١١].

الأصل الثاني: تنزيهٌ بلا تعطيل.

ومعنى هذا الأصل أنَّنا في إثباتنا لصفاته جَلَّوَعَلَا ننزهه عن مشابهة المخلوقين، ولكنَّ هذا التنزيه لا يعني تعطيل الصفة ونفيها، أو تأويلها وصرفها عن ظاهرها؛ لأنَّه قال سبحانه بعدما نفى المشابهة: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشُّورَىٰ: ١١].

فهذه الآية العظيمة تضمنت كلا الأصلين: النفي والإثبات.

ثانيًا: القول في الصفات كالقول في الذات:

معنى هذه القاعدة: أنَّ الذي يُريد التفصيل أو الحديث عن الصفة، لا بد أن يعلم صاحب الصفة.

وما دمنا نجهل ذات صاحب الصفة؛ أي نجهل كيفية هذه الذات العلية، فسنجهل يقينًا كيفية صفاته من باب أولى.

فيد الإنسان مثلًا ليست كيد الباب، وليست كيد السيارة، أو كيد الحيوان، وهؤلاء خلق، اتفقوا على مسمى الصفة، واختلفت كيفيتها، بناء على اختلاف ذواتهم.

وعليه: فإنَّ إثبات صفة اليد لله، لا يلزم منه ألبتة مشابهة المخلوق؛ لأنَّ ذات الله لا تشبه ذواتهم.

ولذلك حينما نُثبت لله جَلَّوَعَلَا صفة الوجه مثلًا، على ما يليق بجلاله؛ فإنَّ

هذا لا يعني: أنَّ له وجهًا يشبه وجوه الخلق؛ قال جَلَّ وَعَلَا ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشُّورَىٰ: ١١]؛ وهكذا سائر الصفات.

وأمَّا المخالفون لأهل السنة فينفون هذه الصفة؛ لأنَّ الوجه عندهم لا بد أن يتكون من عيون وأنف وفم -حاشا لله-.

مع أنَّك لو طلبت من أحدهم، فقلت له: اقرأ علينا وجهًا من سورة البقرة؛ فلن يتبادر إلى ذهنه: أنَّ الوجه من سورة البقرة له أنف وعينان وفم.

ولو قلت له: غطَّى الثلج وجهَ الأرض؛ فلن يتبادر إلى ذهنه إلى أنَّ وجه الأرض فيه فمٌ وعينان ... وإلى غير ذلك من الأمثلة التي تدل على اختلاف الصفات، بناء على اختلاف الذوات والمسميات.

ولو قلت للمعطل أو المؤول: أمسك يد الباب؛ **فهل سيتبادر إليه أنَّ للباب يدًا لها كف وراحة وأصابع؟!** فالله جَلَّ وَعَلَا منزه عن الشبيه والمثيل.

لذلك نثبت الصفة كما أخبر ربنا هو -جَلَّ وَعَلَا- عن نفسه: أنَّ له يدًا، فنقول: له يدٌ لكن ليست كأيدي المخلوقين، تليق بكماله وعظمته وجلاله.

وما أحسن ما قاله الشيخ ولد عدود:

وما نقولُ في صِفاتِ قُدْسِهِ، فَرْعُ الّذي نَقولُه في نَفْسِهِ
فإنْ يَقُلْ جَهْميهُمْ: كيفَ اسْتَوى كيفَ يَجيءْ، فَقُلْ لَهُ: كيفَ هُوَ؟!

ثالثًا: أهل السنة والجماعة يثبتون الاسم؛ أي: لفظ الصفة، ويثبتون المعنى، ويفوضون الكيفية؛ فنثبت اليد، ونثبت المعنى، ونفوض كيفية هذه اليد.

أدلة أهل السنة على إثبات المعنى:

إنَّ من أخطر الشبه التي يرفع رايتها أقوام، ممن يزعمون الانتساب إلى أهل السنة:

أنَّ نصوص الصفات لا معنى لها أو مجهولة المعنى.

فكلمة اليد ليس لها معنى، وكلمة الوجه ليس لها معنى، إلى غير ذلك من الصفات؛ لذا سنذكر هنا جملة من الأدلة للرد على هذه الشبهة ونقضها:

١. تواتر النصوص في إثبات الصفات ومعانيها:

النصوص القرآنية والحديثية، جاءت بأساليب متعددة، ودلالات متعاضدة، تؤكد أنَّ ظاهرها هو المطلوب فهمه.

فصرف العقول والقلوب عن إدراك هذا المعنى الذي احتشدت النصوص لتأكيده: هو غاية في الاستبلاه.

٢. إجماع السلف على إثبات المعنى وتفويض الكيفية:

السلف الصالح كانوا يثبتون معاني الصفات لله تعالى، على ما يليق بجلاله، ويفوضون الكيفية فقط.

ولم يرد عنهم: أنَّهم جعلوا معاني الصفات مجهولة أو غير معقولة، بل كانوا يفسرونها ويفهمونها.

وقد فسر أئمة السلف جملةً من آيات الصفات: كقولهم في الاستواء: العلو، والاستقرار، والارتفاع.

وهذا يدل على أنَّهم فهموا معناها ولم يفوضوها، كما قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستِواءُ غيرُ مجهولٍ، والكَيفُ غيرُ مَعقولٍ، والإيمانُ به واجِبٌ، والسُّؤالُ عنه بِدعةٌ»(١).

ومن ذلك ما روي عن سفيان بن عيينة، قال: «كنت عند ربيعة بن أبي عبد الرحمن فسأله رجلٌ فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟

قال: الاستواء معلوم غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»(٢).

وقال الأوزاعي: «كنّا والتابعون متوافرون نقول: إن الله فوقَ عرشِه، ونؤمن بما وردتْ به السنةُ من صفاته» (٣).

وقال ابن عبد البر: «أهلُ السُّنة مجمِعُون على الإقرار بالصِّفاتِ الواردةِ كلِّها في القرآنِ والسُّنة، والإيمان بها، وحَملِها على الحقيقةِ لا على المجاز، إلّا أنَّهم لا يُكيِّفون شيئًا من ذلك، ولا يَحُدُّون فيه صفَةً محصورةً.

وأمّا أهلُ البِدعِ والجهميّةُ والمعتزِلَةُ كلُّها والخوارجُ، فكُلُّهم يُنكِرُها، ولا يحمِلُ شيئًا منها على الحقيقة، ويزعُمون أنَّ مَن أقَرَّ بها مُشَبِّهٌ، وهم عندَ من أثبَتَها نافُون للمعبود. والحقُّ فيما قاله القائلون، بما نطَق به كتابُ الله، وسُنَّةُ رسولِه، وهم أئمَّةُ الجماعة، والحمدُ لله»(٤).

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٧).
(٢) أخرجه الذهبي في العلو (ص ١٢٩)، وصححه الألباني في مختصر العلو (ص ١٣٢).
(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٥)، وأخرجه ابن بطة في الشرح والإبانة (ص ٢٢٩).
(٤) التمهيد (١٥٦/٥).

وقال ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات، لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله، من غير تعرض لتأويله»(١).

٣. تصريح السلف بإجراء النصوص على الظاهر:

فقد نقل الحافظ الذهبي عن أبي القاسم الأصبهاني أنَّه قال: «مذهب: مالك، والثوري، والأوزاعي، والشافعي، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وأحمد، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وإسحاق بن راهويه:

أنَّ صفات الله التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله: من السمع، والبصر، والوجه، واليدين، وسائر أوصافه.

إنَّما هي على ظاهرها المعروف المشهور، من غير كيف يتوهم فيها، ولا تشبيه، ولا تأويل»(٢).

وإنَّ هذا النقل، عن هذا الجمع الغفير من السلف، في أنَّهم يجرون الآيات على ظاهرها، دليل على إبطال ما يقوله نفاة المعنى، من المفوضة والمعطلة: أنَّ مذهب السلف هو التفويض.

٤. تفسير السلف للصفات بذكر نقيضها:

من ذلك: قول حرب الكرماني: «والله تعالى سميع لا يشك، بصير لا يرتاب، عليم لا يجهل ... ويفرح، ويحب ويكره، ويبغض ويرضى، ويسخط ويغضب،

(١) لمعة الاعتقاد (ص:٧، ٨).
(٢) العلو (ص:٢٦٣).

ويرحم ويعفو ويغفر، ويعطي ويمنع، وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وكما شاء، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشُّورَىٰ: ١١] »[١]؛ **فكيف لا يكون لهذه الصفات معان أو لا يعرفونه ثم يفسرونها بذكر نقيضها؟!**

٥. **نفي السلف للكيفية:**

وذلك لأنَّك لا تحتاج إلى نفي الكيفية، إن لم يكن لها معنى.

٦. **التناقض في مذهب المفوضة:**

إنَّ مَن أثبت بعض الصفات، وفَوَّض، أو أَوَّل في بعضها الآخر، يلزمه التفويض أو التأويل فيما أثبته.

وذلك لأنَّه لو طولب بالفرق بين ما أثبته، وبين ما فوض فيه، أو أوَّل، لم يجد جوابًا صحيحًا، وهذا تناقض واضح.

٧. **اللغة العربية تدل على المعنى:**

كل عاقل يعرف لسان العرب، إذا قرأ نصوص الصفات، عرف منها المعنى، ولا يلزم من ذلك التشبيه؛ لأنَّ الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشُّورَىٰ: ١١]، فإثبات المعنى لا يلزم منه التشبيه أو التمثيل كما سبق.

قال ابن قتيبة: «الواجب علينا: أن ننتهي في صفات الله حيث انتهى في صفته أو حيث انتهى رسوله ﷺ.

ولا نُزيل اللفظ عما تعرفه العرب وتضعه عليه، ونمسك عما سوى ذلك»[٢].

---

(١) مسائل حرب الركماني (٣/ ٩٦٧، ٩٧٤).

(٢) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية (ص: ٤٤).

٨. مآل التفويض تعطيل النصوص:

مذهب التفويض يؤدي إلى تعطيل النصوص عن معانيها، وجعلها بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يُفهم؛ وهذا مخالف لمقصد الشريعة من إنزال الكتاب للتدبر والفهم.

والله جَلَّوَعَلَا أمر بتدبر كتابه كلِّه، قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

والتدبر فرع عن معرفة المعنى، ولم يستثن ربنا جَلَّوَعَلَا آيات الصفات من الأمر بالتدبر.

ولم يقل أحد من الصحابة والتابعين: إنَّ آيات الصفات من المتشابه، الذي لا يجوز تفسيره أو بيان معناه؛ **وهل يعقل أنَّ الله جَلَّوَعَلَا يخاطبنا بكلام لا معنى له؟!!**

بل لقد نقل عنهم، أنَّهم كانوا: لا يتجاوزون العشر آيات حتى يفهموا ما فيها من العلم.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي عبد الرحمن السلمي أنَّه قال: «حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ.

فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ»[١].

فهل يستثنى من ذلك نصوص الصفات؟!

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٢)، وحسنه الشيخ شاكر.

٩. الاشتراك في المعنى لا يلزم منه الاشتراك في الحقيقة:

فإثبات المعنى الكلي الموجود في الأذهان بين صفات الله وصفات خلقه: لا يلزم منه الاشتراك في الحقيقة والكيفية الخارجية.

فالله له صفات تليق به، والمخلوق له صفات تليق به، ولا يلزم من الاشتراك في الاسم أو المعنى الكلي التشبيه أو التمثيل.

١٠. إنَّ النبي ﷺ: هو الرؤوف الرحيم بهذه الأمة، ولم يحذرنا -ولو في حديث واحد-: من أنَّ إثبات المعنى يفيد التشبيه والتجسيم.

١١. أنَّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من عادتهم وطريقتهم حمل النصوص على ظاهرها، وكانوا إذا استشكلوا شيئًا سألوا عنه رسول الله ﷺ وما توقفوا.

فلو كان: إثبات اليد، والوجه، والنزول، والاستواء لله جَلَّ وَعَلَا وغيرها مشكل، لسألوا عنه رسول الله ﷺ؛ وهم أهل لسان وذكاء وفهم، وحرص على العلم.

شبهة ورد:

لماذا لم يتكلم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في معاني الصفات إذا كانوا يعلمونها؟

الجواب عن هذا من وجهين:

الوجه الأول: ليس من عادة العرب تفسير الواضحات، فالعرب تسأل عن الغامض أو المجهول غير المعلوم.

ونصوص الصفات عندهم من المعلوم؛ فهي متعلقة بالخالق الذي أمروا بعبادته.

الجواب الثاني: نورد هذا السؤال على نفاة المعنى من المؤولة والمفوضة فنقول:

أين تفسير الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ لمعنى العلم والقدرة والحياة التي تثبتونها لله؟!

رابعًا: صفات الله جَلَّوَعَلَا باعتبار تعلقها بذات الله وأفعاله؛ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: صفات ذاتية:

والصفات الذاتية: وهي الصفات التي لا تنفك عن الله جَلَّوَعَلَا؛ أي هي التي اتصف بها الله جَلَّوَعَلَا في الأزل ولا يزال متصفًا بها: كصفة اليد، والعلم، والرحمة، والقدرة وغير ذلك.

ومنها الصِّفات الخَبَرِيَّة: كالوجه، واليَدَين، والعَينَين.

القسم الثاني: صفات فعلية:

والصفات الفعلية: هي التي تتعلق بمشيئة الله وإرادته، فإن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها؛ أي هي التي لا يتصف بها الله عَزَّوَجَلَّ على الدوام وعلى الاستمرار: كالنزول، والمجيء.

وهذه الصفات: هي التي زَلَّت فيها أقدام أهل البدع، فالصفات الفعلية: هي التي تخبط فيها أهل الكلام.

فتراهم يثبتون الصفات الذاتية، ثم يقعون في الخطأ والانحراف في باب الصفات الفعلية؛ لأصل فاسد عندهم، وسيأتي بيانه عند ذكر مذاهب المخالفين في إثبات صفة اليد.

القسم الثالث: صفات ذاتية فعلية:

كصفة الكلام، والرزق، والخلق، فهي ذاتية باعتبار أصل الصفة، وفعلية باعتبار أفرادها وآحادها.

فصفة الكلام ذاتية باعتبار أصلها؛ لأنَّ الله جَلَّوَعَلَا لم يَزَلْ ولا يزال مُتكلِّمًا، وصفة فعلية باعتبار أفرادها وآحادها؛ لأنَّ الكلام يتعَلَّق بمشيئته، يتكلَّم متى شاء بما شاء: ككلامه لموسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وكلامه بالقرآن الكريم.

۞ الفرق التي خالفت أهل السنة في إثبات الصفات:

خالف أهل السنة والجماعة في باب صفات الله جَلَّوَعَلَا طائفتان:

الطائفة الأولى: المشبهة:

وهم الذين شبهوا الخالق بالمخلوق، ومثلوا صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقولون: كغلاة الشيعة(١)، والكَرَّامية(٢)، والحلولية، وبعض المعتزلة.

فشبهوا يد الخالق بيد المخلوق، وسمع الخالق بسمع المخلوق، وهم اليوم قِلَّة لا يكاد لهم وجود أو ذكر.

الطائفة الثانية: المُعطلة؛ وهم على فرق:

الفرقة الأولى: الجهمية، وهؤلاء عطلوا جميع الصفات، فلا يثبتون شيئًا، لا من الأسماء، ولا من الصفات؛ وتقدم ذكرهم.

---

(١) كالجواليقية أتباع هشام بن سالم الجواليقي، والحكمية الهشامية أتباع هشام بن الحكم الرافضي.

(٢) الكَرَّامية: فرقة تنتسب إلى أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني (٢٥٥ هـ)، وقد انتشرت في خراسان وما وراء النهر وبيت المقدس لعدة قرون ثم انقرضت، ومن أكبرضلالاتهم التجسيم والتشبيه فوصفوا الله تعالى بأنَّه جسم، وأنه محدود من جهة العرش، وأنه مماس للعرش، ويثبتون له الجهة والمكان، ويقولون إنه جوهر، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

الفرقة الثانية: المعتزلة، وهؤلاء يثبتون الأسماء، ويعطلون الصفات.

ويقولون: الأسماء أعلام محضة، لا تدل على صفات، فيقولون: الله عليم بلا علم، سميع بلا سمع... وقد تقدم ذكرهم.

الفرقة الثالثة: المفوضة، وهؤلاء يثبتون الاسم ويثبتون الصفة، لكنهم يفوضون المعنى والكيفية، ومنهم من ينفي المعنى.

فالفرق بيننا -أهل السُّنة- وبينهم في إثبات المعنى، وهي منتشرة جدًّا في زماننا، وجُل الأشاعرة اليوم على هذا الطريق، طريقةِ أهل التفويض، ويزعمون: أنَّ التفويض هو مذهب أهل السُّنة والجماعة، وهذا باطل.

وقد سبق نقض مذهب التفويض من أحد عشر وجهًا في مبحث: **أدلة أهل السنة في إثبات المعنى**[١].

ومما يحسن ذكره أنَّ المفوض لو قيل له: **هل الوجه عندك كاليد؟ وهل الضحك كالغضب؟**

فقطعًا سيقول: لا؛ ويكون حينئذ أقر بمعنى لهذه الصفات، التي يزعم تفويض معناها أو نفيه؛ فنفيه تطابقها دليل على إثبات معنى قائم في الذهن لها.

ومشكلة المفوضة: هي ذاتها مشكلة غيرهم، في أنَّهم يعتقدن: أنَّ إثبات المعنى يلزم منه التشبيه.

مع أنَّ المفوض لو سئل: **هل نزول المطر، ونزول درجة الحرارة، ونزولك من الطابق العلوي إلى الأرضي سيان؟** لقال: لا.

(١) تقدم في ص (٨٦-٩١).

وما دام أنَّ النزول تباين، ولم يشتبه عليك عند إضافته لذوات متغايرة؛ **لماذا اشتبهت عليك ففرت إلى التعطيل في ثوب التفويض خوف التشبيه؟!** مع أنَّ ذات الله علية، وصفاته بائنة عن صفات خلقه، تليق بجبروته وعظمته.

الفرقة الرابعة: الأشاعرة.

أولًا: أجمع الأشاعرة على إثبات الصفات السبع العقلية؛ وهي التي جمعها الناظم بقوله:

حَيٌّ عَلِيمٌ قَادِرٌ وَالْكَلَامُ لَهُ إِرَادَةٌ وَكَذَاكَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

وإثباتهم لها دون غيرها بطريق العقل؛ ذلك أنَّ إحكام المخلوقات دلَّ على صفة **العلم**، وإيجادها دلَّ على صفة **الخلق**، ووجودها على هذا النظام متعاقبة دل على صفة **الإرادة**.

وهذه الصفات الثلاث -العلم والقدرة والإرادة- لا تقوم إلَّا في: **حيٍّ**، موصوف **بالسمع والبصر والكلام**.

وهذه الصفات -عندهم- أزلية أبدية ليست حادثة، فليست فعلية بحال، فلا تتجدَّدُ آحادها؛ فرارًا من لازم حلول الحوادث بالله عند إثباتها؛ لأنَّه مع وجود المخلوقات، توجد معلومات، ومرادات، ومسموعات، ومُبصَرات.

ويحسن التنبيه إلى أنَّ متأخري الأشاعرة: كأبي المعالي الجويني، ومن بعده: لا يثبتون إلا هذه الصفات، ويسمونها: صفات المعاني: وهي معان وجودية لا يمكن تصور الذات مع تصور عدمها.

ثانيًا: أجمع الأشاعرة على نفي الصفات الفعلية الاختيارية؛ ويعبرون عنها بـحلول الحوادث؛ فالله جَلَّوَعَلَا لا تحله الحوادث، وهي التي تكون بمشيئته وقدرته.

فوافقوا بذلك الجهمية والمعتزلة، وهذه الصفات الفعلية عندهم بائنة عنه -منفصلة عنه-، مضافة إليه.

ثالثًا: الصفات الخبرية عند الأشاعرة: أثبت متقدموا الأشاعرة بالجملة الصفات الخبرية: كالوجه، واليدين مع تفويض للمعنى عند بعضهم.

وأمَّا المتأخرون فسلكوا في الصفات الخبرية أحد مسلكين:

- التفويض.

-أو التأويل.

فقال قائلهم:

وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا أَوِّلْهُ أَوْ فَوِّضْ وَرُمْ تَنْزِيهَا

وعجبك لا ينتهي: **كيف تُوهم النصوص التشبيه والمتكلم بها نفى الشبيه** بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشُّورَىٰ: ١١] ؟

ثم إنَّ توهم التشبيه: إنَّما يكون في ذهن من كيَّف الصفات، ففر من التشبيه إلى التفويض أو التأويل.

شبهة حلول الحوادث:

يرى الأشاعرة وغيرهم: أنَّ الصفات أعراض وحوادث، فلو قامت بالله جَلَّوَعَلَا للزم قيام الأعراض والحوادث به.

والأعراض لا تقوم إلا بجسم، وما كان محلًّا للحوادث فهو حادث، فلو قامت به لكان جسمًا، ولكان حادثًا.

وقالوا: إنَّ كل ما صح قيامه بالبارئ تعالى، فإمَّا أن: يكون صفة كمال أو لا يكون.

فإن كان صفة كمال: استحال أن يكون حادثًا، وإلا كانت ذاته قبل اتصافه بتلك الصفة خالية من صفة الكمال، والخالي من الكمال الذي هو ممكن الاتصاف به: ناقص، والنقص على الله محال.

الجواب على هذه الشبهة:

أجاب أهل السنة والجماعة عن شبهة: "أنَّ إثبات الصفات الفعلية يلزم منه حلول الحوادث"، بعدد من الإجابات؛ **منها:**

أنَّ لفظ: "حلول الحوادث" لفظ مجمل مُحدَث؛ لم يرد في الكتاب ولا في السنة، ولم يستعمله السلف الصالح، بل هو اصطلاح حادث عند المتكلمين، وفيه إجمال واشتباه، فيجب طلب التفصيل ممن يطلقه:

- فإن أرادوا به: أنَّ الله يحل فيه شيء من مخلوقاته، أو أن ذاته تقبل النقص، أو التغير: كالمخلوقين، فهذا باطل ومنفي عن الله تعالى.

- وإن أرادوا به: أنَّ الله يفعل ما يشاء متى شاء، ويتصف بصفات الفعل: كالنزول، والاستواء، والغضب، والرضا إذا شاء، فهذا حق، ولا يلزم منه نقص ولا مشابهة للمخلوقين، بل هو كمال لله تعالى.

لذا **الواجب الوقوف مع النصوص وعدم استعمال الألفاظ المجملة**، فنثبت ما أثبته الله لنفسه من الصفات، ولا نستعمل الألفاظ المجملة المحدثة كـ"الحوادث".

بل يقال: هذه صفات وأفعال يفعلها الله جَلَّوَعَلَا إذا شاء، ولا يجوز أن نسميها حوادث.

وإن سميتموها: حوادث، وقصدتم المعنى الصحيح، فالمعنى الصحيح: يجب إثباته، واللفظ الباطل: يجب رده.

الصفات الفعلية تتعلق بمشيئة الله ولا تشبه صفات المخلوقين؛ فأهل السنة يثبتون الصفات الفعلية لله تعالى: كالنزول، والاستواء، والغضب، والرضا.

ويقولون: إن الصفات الفعلية تتعلق بإرادة الله وبمشيئته، فهو يرضى إذا شاء، ويغضب إذا شاء.

ولا يلزم من ذلك حلول الحوادث في ذات الرب جَلَّوَعَلَا، وهذا إنَّما هو في حق المخلوق، فهو الذي تحل الحوادث في ذاته.

وأمَّا الله فصفاته لا تشبه صفات المخلوقين.

وأمَّا الرد على قولهم: "إنَّ كل ما صح قيامه بالبارئ تعالى، فإمَّا أن يكون صفة كمال أو لا يكون، فإن كان صفة كمال استحال أن يكون حادثًا....".

فنقول: هذا التعليل باطل؛ لأنَّ الله تعالى لم يزل متصفًا بصفات الكمال، ويفعل ما يشاء متى شاء، وأفعاله لا أول لها ولا آخر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هُود: ١٠٧].

وهذه العقيدة الفاسدة، جاءت من إرادتهم: إثبات وجود الله بدليل حدوث العالم؛ وأي قدح في هذا الدليل ينفونه؛ دفاعًا عن هذا الدليل.

ولذلك أهل البدع يعتقدون المسألة التي يريدونها ويقررون فيها حكمًا قبل النظر في الكتاب والسنة، فما وجدوا أنَّ ظاهره يخالف ما ذكروه: أوَّلوا نصوص الكتاب والسنة.

الفرقة الخامسة: الماتريدية؛ وهم: كالأشاعرة، فقط زادوا صفةً على الصفات السبعة وهي: **التكوين**: وهي صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى.

فيعتقدون أنَّها وراء جميع صفات الأفعال مثل الخلق، والإحياء، والرزق، والإماتة.

فالتكوين عندهم ليس عين المكوَّن أو المخلوق، بل هو صفة قديمة لله، والمخلوق حادث بحدوث الموجودات.

أمَّا الأشاعرة فصفات الأفعال عندهم حوادث، وليس التَّكوين صفةً أخرى غير القُدرة والإرادة، فمرجع صفات الأفعال عندهم: هو مجموعُ القُدرة والإرادةِ، وليس التكوين.

صفة اليدين لله

صفة اليدين لله عَزَّوَجَلَّ

قال الناظم بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقَدْ يُنْكِــــــرُ الجهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ، وَكِلْتَا يَدَيْــــهِ بالْفَوَاضِـــلِ تَنْفَحُ،

* * *

يتحدث الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن صفة اليد لله جَلَّوَعَلَا؛ وقد أجمع السلف على إثبات صفة اليدين لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لم ينكرها أحد منهم(١)؛ وهي صفة ذاتية لله جَلَّوَعَلَا، نثبتها كبقية الصفات.

وأمَّا ما ورد عن مُجاهد في تفسير قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾ [الذَّارِيَات: ٤٧] بأن كملة ﴿بِأَيۡيْدٍ﴾ هنا معناها: القوة.

فالجواب عنه من وجهين:

الأول: أنَّ هذه الآية ليست من نصوص الصفات.

الثاني: أنَّ هذا ليس تأويلًا؛ لأنَّ معنى كلمة اَلأَيْد في لغة العرب: القوة، فهي من: آدَ، يَئِيدُ، أَيْدًا: اشتدَّ وقَوِيَ.

ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

(١) نقل الإجماع: أبو الحسن الأشعري في كتابه «رسالة إلى أهل الثغر» (ص: ٢٢٥). وأبو زيد القيرواني كما في «الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ» (ص: ١٠٧-١١٧).
وأبو نصر السجزي في «رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت» (ص: ٢٦٣). وابن رشد كما في «البيان والتحصيل» (٤٠١/١٦).

وأدلة إثبات اليد في القرآن الكريم كثيرة؛ منها:

١. ما ورد بلفظ المفرد؛ كما في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [المُلك: ١].

٢. وورد بلفظ التثنية؛ كما في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ﴾ [المَائِدَة: ٦٤].

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥].

وأدلة إثبات اليد من السنة:

١. حديثُ أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «إنَّ اللهَ تعالى يَبسُطُ يَدَه باللَّيلِ؛ ليتوبَ مُسيءُ النَّهارِ، ويَبسُط يدَه بالنَّهارِ؛ ليتوبَ مسيءُ اللَّيلِ، حتى تَطلُعَ الشمسُ مِن مغرِبِها»؛ أخرجه مسلم(١).

٢. وحديث الشَّفاعة، فعن أبي هُريْرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا، وفيه: «فيأتونَه فيَقولُون: يا آدَمُ، أنتَ أبو البَشَرِ، خلقَكَ اللهُ بِيَدِه، ونفَخ فيكَ مِن رُوحِه»(٢).

۞ المخالفون لأهل السنة والجماعة في إثبات صفة اليدين:

خالف أهل السنة في هذه الصفة جمعٌ من الفرق؛ **منهم:**

- الجهمية الذين ينفون الصفات والأسماء.

- وأهل التأويل من المعتزلة، ومعظم الأشاعرة والماتريدية؛ فأوَّلوا اليد بالقدرة، أو النعمة.

---

(١) برقم (٢٧٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

ويجاب عن تأويلهم لصفة اليد بالقدرة والنعمة بما يلي:

أولًا: قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

فقد دلت هذه الآية على تشريف وتكريم خُصَّ به آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دون غيره، وهذا التشريف لا يحصل إلا إذا كان قد خُلق بيد الله جَلَّوَعَلَا.

ولو كانت اليد: هي القدرة، لما تحقق هذا التكريم والتشريف لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ إذ إنَّ الجميع مخلوق بقدرته تعالى؛ ومنهم إبليس.

ثانيًا: جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتفق عليه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَدُ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ.

وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ.

وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»[(١)].

وفيه إبطال لكل تأويل قيل في يد الله تبارك وتعالى؛ لأنَّه وصف اليد اليمين أنَّها ملأى لا يغيضها نفقة، ثم ذكر اليد الأخرى؛ **فهل يقال: قدرته الأخرى أو قوته الأخرى؟!!**

ثالثًا: لما أسندت بعض الأعمال إلى يد الله عَزَّوَجَلَّ على سبيل التشريف، كما في قول موسى لآدم عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ: «خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ»، وقول آدم لموسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ: «كَتَبَ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ».

دلَّ ذلك: على أنَّها يد حقيقية؛ فلو كانت اليد: هي القدرة، لم يكن لذكر هذه الفضائل فائدة؛ فكل شيء واقع ومتحقق بقدرة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ[(٢)].

---

(١) البخاري (٤٤٠٧)، ومسلم (٩٩٣)

(٢) انظر: الأربعون العقدية (٢/ ٩١٧)

رابعًا: معلوم أنَّ لفظة اليد وردت في النصوص بصيغة التثنية؛ **فهل يقال: خلق الله بقدرتيه؟!**

وكيف يكون معنى قوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المَائـِدَة: ٦٤]؛ **يعني: قدرتاه مبسوطتان؟!**؛ هذا قول على الله بلا علم.

وعلى قولهم: إنَّ اليد معناها النعمة: **هل لله نعمتان أم أنَّ نعمه لا تحصى بعدد؟** كما قال تعالى:﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النَّحۡل: ١٨].

ولذا قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من زعم أنَّ يديه: نعمتاه، كيف يصنع بقوله: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]»[(١)].

بل قال أبو الحسن الأشعري: «وإذا كان الله جَلَّ وَعَلَا إنَّما خاطب العرب بلغتها، وما يجري مفهوما في كلامها، ومعقولًا في خطابها.

وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني النعمة؛ بطل أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿بِيَدَيَّ﴾: النعمة»[(٢)].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا: «إنَّ دلالات القرآن والسنة على إثبات صفة اليدين لله تعالى، قد تنوعت بما يمتنع معه حمل اليدين على المجاز: كصيغة التثنية في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

والتي هي صيغة دقيقة؛ لأنَّها تدل على العدد والنوع دلالة قطعية؛ فلا يجوز أن يُعبَّر باليدين، وهي صيغة تثنية عن القدرة التي هي صفة واحدة»[(٣)].

(١) انظر: إبطال التأويلات (١/ ١٦٩).
(٢) الإبانة عن أصول الديانة (ص/٩٨).
(٣) رسائل السنة والشيعة (٨٢).

شبهة: إنَّ اثبات معنى صفة اليد يلزم منه التكييف؛ فالتكييف ملازم للعلم بالمعنى:

فيزعم المعطلة من أهل التأويل والتفويض: أنَّ العربَ لا تعرف من اليد إلَّا أنَّها الجارحة التي يتصف بها الإنسان والحيوان.

وإذا قلنا: إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ متصف باليد، فاللازم من هذا أننا سنصف الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الجارحة؛ لأنَّه:

- إمَّا أن ننفي العلم بالمعنى والكيفية.
- وإمَّا أن نثبت العلم بالمعنى والكيفية.
- وأمَّا أن نقول: نعلم المعنى ونجهل الكيفية فهذا تناقض؛ لأنَّ التكييف والعلم بالمعنى أمران متلازمان.

الجواب على الشبهة: هذا القول في غاية البطلان، ومخالف لما أجمع عليه السلف، وينقضه أوجه كثيرة؛ **منها**:

الوجه الأول: أنَّ العرب أطلقت كلمة اليد على قدر يشترك فيه أشياء كثيرة تختلف في حقائقها؛ فالتماثل ليس حاصلًا من هذا القدر المشترك؛ وإنما التماثل قدر زائد على هذا الإطلاق.

فالصفة لها حكم موصوفها كما تقدم، وكل عاقل يدرك: أنَّ صفة كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، فللإنسان يدٌ، وللنملة يدٌ، وللباب يدٌ، ولا يقول عاقل: إنَّ هذه الأيدي متماثلة؛ لاشتراكها في المعنى المطلق الكلي.

ثم إنَّ بعد هذا القدر المشترك قدر آخر: وهو الحقيقة، والكُنْه، والكيفية، وهذا قدر مختص تتميز به كل حقيقة بصفتها، ولا اشتراك ولا تماثل.

الوجه الثاني: الافتراق بين صفة الخالق والمخلوق متحقق في المعنى والكيف؛ فعند الإضافة يحصل التمايز.

فمعلوم أنَّه قد جاءت اليد في النصوص مضافة؛ وهذه الإضافة تزيل توهم التشبيه.

فاليد تدل على معنى عام مشترك؛ **فهي آلة الفعل غالبًا: وهي التي تقبض وتبسط، ويؤخذ بها ويطوى بها، إلى غير ذلك.**

الوجه الثالث: جاء في النصوص ما يمتنع معه توهم التشبيه في الصفات، ومنها صفة اليد، فقد جاء في النصوص: وصف لهذه اليد العظيمة، بأمور لا يمكن مع الإيمان بها أن يحصل أدنى التباس أو توهم التشبيه؛ من ذلك:

١. قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٦٧].

فيا معشر المتكلمين: **أين وجدتم يدًا تقبض السموات وتقبض الأرض حتى خشيتم التشبيه ففرتم منه؟!.**

٢. أنَّ اليد جاءت في القرآن مضافة إلى الملائكة كما في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعَام: ٩٣]؛ **فهل من يفهم لغة العرب: سينصرف ذهنه إذا سمع هذه الآية إلى أنَّ يد الملائكة: هي مثل أيدنا، فتوصف بالجلد والأظافر والأصابع؟**

الجواب يقينًا: لا؛ وذلك لأنَّ محل هذه الصفة مختلف؛ فالملائكة من جنس آخر.

الوجه الرابع: إذا كان إثبات صفة اليد لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقتضي التجسيم؛ فيقال لكم: إنَّ إثبات العلم والقدرة والحياة لله يقتضي ذلك أيضًا.

فإمَّا إن تكون مجسمًا -على حد وصفك-.

وإمَّا أن تنفي عن الله جَلَّوَعَلَا هذه الصفات كلها.

ولا سيما أنَّ هذه الصفات السبع أعراض عندكم، ولا تقوم الأعراض عند العرب إلا في الأجسام.

الوجه الخامس: الكيفية لا تستفاد من اللغة، وإنَّما معرفة الكيفية والكنه والحقيقة: يستفاد من المشاهدة والحس والتجربة.

فمعرفة اللغة وحدها: لا توصل إلى معرفة الكيفية والحقيقة.

ومثال ذلك: صفة اليد، فدون حس ومشاهدة للمتصف بها لن تدرك كيفيتها؛ لذلك لا يلزم البتة من معرفة المعنى: معرفة الكيفية.

ومن الأمثلة أيضًا لفظة "استوى" التي معناها في اللغة: العلو والارتفاع على الشيء.

ولكن كيفية الاستواء لا تعلم من جهة اللغة، فاستواء الإنسان على الكرسي أو على الدابة، أو استواء سفينة على جبل: لا تدرك كيفية من معنى استوى وحدها، وإنَّما من الحس والتجربة والمشاهدة، فالكيفية قدر زائد على معرفة المعنى.

الوجه السادس: القرائن المحتفة بإثبات صفة الله -صفة اليد لله جَلَّ وَعَلَا- تدل دلالة قاطعة على أنَّها يد حقيقية، ويستحيل ادعاء جهل المعنى فيها.

فلو تأملت النصوص التي وردت فيها صفة اليد، لوجدت أنَّ يد الله جَلَّ وَعَلَا موصوفة بالقبض، وموصوفة بالبسط، وموصوفة بالعطاء، وموصوفة بالأخذ.

وصفات لله جَلَّ وَعَلَا:

١. إمَّا أن يكون لها في نفسها معنى.

٢. أو لا يكون.

فإن كان لها معنى:

١. فإما أنَّه يمكننا معرفته.

٢. أو لا يمكننا معرفته.

فإن كان لها معنى لا يمكننا معرفته، **فما فائدة إخبارنا به في كتاب، موصوف بأنَّه: بيان، وتبيان، ومبين، ونور مبين، وبأنه أحسن تفسيرًا، وبأنَّه يهدي للتي هي أقوم؟ ما فائدة إخبارنا به وهو يوهم التشبيه والتجسيم على حد زعمهم؟!**(١)

مسألة: هل نثبت لله يد شمال؟

أجمع أهل السُّنَّة والجماعة على أنَّ لله جَلَّ وَعَلَا يَدين، وأنَّ إحدى يديه يَمينٌ؛ ووقع خلاف: **فهل يده الأخرى توصف بالشِّمال؟ أم أنَّ كِلتا يَديه يمين؟**

وسبب الخلاف ورود وصف اليد بالشمال في بعض النصوص، ووصف يديه في نصوص أخرى بأنَّ كلتيهما يمين.

(١) انظر تفصيل هذه الوجوه في شرح الحائية للشيخ صالح سندي.

وفيما يلي تفصيل أقوالهم:

القول الأول: **إثبات اليد الشمال لله**: ذهب جماعة من أهل السنة إلى إثبات اليد الشمال لله تعالى.

ومن هؤلاء: عثمان بن سعيد الدارمي، وأبو يعلى الفراء، ومحمد بن عبد الوهاب، وصديق حسن خان، ومحمد خليل هراس، والشيخ ابن عثيمين، وشيخنا عبد الله الغنيمان.

استدلالًا:

١. بحديث عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في صحيح مسلم[١]: «يَطوي اللهُ عَزَّوَجَلَّ السَّمَواتِ يومَ القِيامةِ، ثم يأخُذُهنَّ بيدِه اليُمنى.

ثم يَقولُ: أنا الملكُ! أَينَ الجَبَّارونَ؟ أينَ المُتكبِّرونَ؟ ثم يَطوي الْأَرَضينَ بشِمالِه..».

وقالوا: إنَّ إثبات الشمال لله لا يلزم منه نقص؛ لأنَّ صفات الله كلها كمال، وما كان في المخلوقين نقصًا لا يلزم أن يكون في حق الله كذلك.

قال العلامة ابن عثيمين: «الله تعالى له يمين وشمال، لكن كلتا اليدين يمين؛ أي يُمْن وخير وبركة، فلا يتوهم واهم أنَّه إذا كانت له يد شمال: أنَّ يده الشمال قاصرة كما هي في المخلوقين.

فالخلق أشرفهم البشر، والشخص يده الشمال قاصرة عن يده اليمين، ولهذا نُهي الإنسان أن يأكل بشماله، أو يشرب بشماله، أو يأخذ بشماله، أو يعطي بشماله.

(١) برقم (٢٧٨٨).

فلما كان البشر هذه صفة اليد الشمال عندهم، رُفع هذا الوهم بقول الرسول ﷺ: «كلتا يديه يمين»»[(١)].

القول الثاني: عدم إثبات الشمال لله: ذهب جمع من العلماء؛ ومنهم: الإمام أحمد، وابن خزيمة، ومن المعاصرين: الشيخ الألباني إلى أنَّه: لا يصح وصف يد الله بالشمال.

استدلالًا

١. بحديث عبدالله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في صحيح مسلم[(٢)]: أنَّ النبي ﷺ قال: «كلتا يديه يمين».

٢. وبإنَّ الشمال في لغة العرب :محل النقص والضعف، والله منزه عن ذلك.

٣. وبأنَّ الروايات التي فيها ذكر «الشمال» شاذة؛ فهي وإن كانت في صحيح مسلم إلا أنَّها ضعيفة؛ فقد تَفرَّد بها عمر بن حمزة بن عبدالله بن عمر بن الخطَّاب، عن سالم، عن ابن عمر؛ وعمر بن حمزة: ضعيفٌ.

ومما يدل على ذلك: أنَّ الحديث أخرجه البخاري من طريق عُبيدالله، عن نافع، عن ابن عمر.

وعند مسلم من طريق عبيدالله بن مِقْسم عن ابن عمر، وليس عندهما لفظة: «الشِّمال»؛ لذلك ضعفها البيهقي[(٣)]، والألباني[(٤)].

---

(١) لقاءات الباب المفتوح (٢٤/٣٠ بترقيم الشاملة).
(٢) برقم(١٨٢٧).
(٣) الأسماء والصفات (٥٥/٢).
(٤) انظر: مجلة الأصالة (ع: ٤، ص: ٦٨).

صفة النزول لله تعالى

صفة النزول لله تعالى

قال الناظم ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقُلْ: يَنْزِلُ الجَبَّـــارُ فِي كُلِّ لَيْلَـــةٍ ... بِلَا كَيْـفَ جَلَّ الْوَاحِــدُ الْمُتَمَدَّحُ

إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَـــا يَمُنُّ بِفَضْلِـــهِ ... فَتُفْـــرَجُ أَبْوَابُ السَّمَـــاءِ وَتُفْتَحُ

يَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِـــرٌ يَلْقَ غَافِـــرًا ... وَمُسْتَمْنِـــحٌ خَيْرًا وَرِزْقًــا؛ فَيُمْنَحُ

رَوَى ذَاكَ قَـــوْمٌ لا يُرَدُّ حَــــدِيثُهُمْ ... أَلَا خَـــابَ قَوْمٌ كَـــذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا

***

أجمع أهل السنة والجماعة: على إثبات صفة نزول الله إلى السماء الدنيا نزولًا يليق بجلاله، على طريقتهم في باب الصفات كلها: **إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل**.

وهي صفة فعلية ثبتت في السنة الصحيحة، وأحاديث صفة النزول متواترة؛ ومنها:

حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند البخاري ومسلم: «يَنْزِلُ ربُّنا تبارك وتعالى كُلَّ ليلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا حِينَ يَبقَى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ»[1].

۞ أصول ثلاثة ينبغي مراعاتها عند دراسة الأسماء والصفات عمومًا:

الأصل الأول: لا أحد أعلم بالله من الله، فربنا جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: ١٤٠].

(١) أخرجه البخاري (٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨).

الأصل الثاني: لا أحد أعلم بالله، من خلق الله من رسول الله ﷺ.

الأصل الثالث: أنَّ الله غيبٌ لم نره، والقول في الصفات كالقول في الذات، فلا نخوض في كيفية الصفات؛ لأنَّ الله غيب لم نره، والقول في صفاته راجعٌ إلى معرفة ذاته جَلَّ وَعَلَا.

۞ أوقات النزول الإلهي:

الوقت الأول: ثلث الليل الآخر.

وقد دل عليه:

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم.

وقد جاء في روايات هذا الحديث: أنَّ النبي ﷺ قال: «إذا مضى ثلث الليل».

وجاء في رواية في مسلم: «إذا انتصف الليل»؛ إلا أنَّ أكثر الروايات ذكرت ثلث الليل الآخر؛ وهو وقت السحر.

وقد أجاب أهل العلم عن التعارض بين هذه الروايات بعدد من الأجوبة؛ منها:

١. ترجيح رواية الصحيحين: «ثلث الليل الآخر» على ما انفرد به مسلم؛ وهذا قول جمهور أهل العلم.

٢. الجمع بين هذه الروايات:

- فحملوها على أنَّها إخبار عن أوقات متعددة للنزول الإلهي.

- أو بأنَّ النزول يقع بحسب اختلاف الأحوال، لكون أوقات الليل تختلف في الزمان وفي الآفاق، باختلاف تقدم الليل عند قوم، وتأخره عند آخرين[١].

(١) فتح الباري (٣/٣١)

ـ وأنَّ الروايات المطلقة: كرواية «ثلث الليل» تحمل على التي قيدت الثلث بالآخر.

- وأمَّا التي بـــ«أو»، فإن كانت «أو»: للشك، فالمجزوم به مقدم على المشكوك فيه.

- وأنَّ قوله ﷺ: «حين يبقى ثلث الليل» بحساب الليل من غروب الشمس إلى الفجر، فيكون المتبقي: هو الثلث الأخير.

وقوله ﷺ: «شطر الليل» بحساب الليل من صلاة العشاء إلى الفجر؛ فيقسم قسمين، فيكون الشطر الثاني: يوافق الثلث الأخير.

- وقيل: يحتمل أن يكون النزول يقع في الثلث الأول، وأمَّا قوله:«من يدعوني»، «من يسألني» فيكون حينما يبقى الثلث الأخير.

- وقيل: يحتمل أنَّ النبي ﷺ أعلمَ بأحد الأمور في وقت، فأخبر به، ثم أعلم به في وقت آخر، فأخبر به، فنقل الصحابة ذلك عنه[١].

الوقت الثاني: عشية عرفة.

وقد دل عليه:

١. حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عند مسلم في صحيحه قال ﷺ: «مَا مِنْ يومٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟».

٢. وجاء عند ابن حبان في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبيﷺ: «وَمَا مِنْ يومٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يومِ عَرَفَةَ، يَنْزِلُ اللهُ تبارك وتعالى إِلَى

(١) انظر: شرح حديث النزول لابن تيمية (ص١٠٧).

السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِأَهْلِ الأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ»؛ ولكن الحديث ضعيف؛ ضعفه: الألباني وغيره[١].

وما رواه مسلم يكفي في إثبات نزوله في هذا الوقت.

الوقت الثالث: ليلة النصف من شعبان.

وقد روي فيها:

حديث عن النبي ﷺ: أنَّ الرب جَلَّوَعَلَا: «يطَّلع إلى جميع خلقه في ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا مشركًا ومشاحنًا»؛ أخرجه: أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

والحديث ضعَّفه: الدارقطني، وغيره من أئمة الصنعة، وحسَّنه: الإمام الألباني بمجموع طرقه وشواهده.

وقد أخرج الإمام محمد بن وضَّاح القرطبي: بإسناده عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال: «لم أدرك أحدًا من مشيختنا، ولا فقهائنا يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان، ولم ندرك أحدًا منهم، يذكر: حديث مكحول، ولا يرى لها فضلًا على ما سواها من الليالي»[٢].

ولكن على القول بأنَّ الحديث لا يصح في ليلة النصف من شعبان، فإنَّ ذلك لا يعني أنَّ الله جَلَّوَعَلَا لا ينزل في ليلة النصف من شعبان؛ لأنَّه ينزل في كل ليلة، ومنها ليلة النصف من شعبان.

(١) انظر: ضعيف الترغيب والترهيب (٧٣٨).

(٢) البدع لابن وضاح (ص١٠٠).

شبهة: ما فائدة هذا النزول إذا كان الله يرى ويسمع ويعلم وهو مستو على عرشه؟

الجواب: هذا النزول ليس للاقتراب من العباد وسماعهم؛ فإنَّ الرب جَلَّوَعَلَا يسمعهم وهو عالٍ ومستوٍ على عرشه.

وإنَّما هو لتعظيم الوقت، وحث العباد على اغتنام هذا الوقت.

۞ المخالفون لأهل السنة في صفة النزول:

مذاهب المخالفين لأهل السنة في صفة النزول الإلهي متعددة، وأشهرها: مذاهب المعتزلة، والأشاعرة، وبعض المتكلمين، **ويمكن تلخيصها فيما يلي:**

١. **نفي صفة النزول مطلقًا**: وهو مذهب: الجهمية، والمعتزلة، والذين أنكروا صفة النزول على طريقتهم في نفي جميع الصفات الفعلية.

وقالوا: إنَّ الله لا يوصف بالنزول؛ لأنَّ ذلك يستلزم -عندهم- حلول الحوادث بالله وتشبيهه بخلقه، وقد تقدم نقض مذهبهم.

٢. **تأويل النزول بنزول الملائكة أو الأمر أو الرحمة**: ذهب كثير: من المعتزلة، والأشاعرة إلى أنَّ المقصود بالنزول في الأحاديث: ليس نزول الله بذاته.

بل هو: نزول مَلَكٍ من عند الله، أو نزول أمره، أو نزول رحمته؛ لأنَّ النزول يلزم منه الحركة والانتقال، وخلو العرش، والتجسيم.

وأجابوا عن معنى النزول الوارد في الأحاديث: بأنَّ الله يخلق أعراضًا في بعض المخلوقات يسميها نزولًا، وهذا بناء على أصلهم في نفي قيام الحوادث به؛ وقد تقدم نقض هذه الشبهة.

وأمَّا قولهم بأنَّ النزول: هو نزول الملائكة، أو الرحمة، أو الأمر؛ **فيجاب عنه بما يلي**:

- **هل الملائكة أو الرحمة تنادي فتقول من يدعوني؟!**

وهذا لا يمكن أن يقوله أحد، وكذلك الملائكة أو الرحمة: لا تنزل في وقت دون وقت.

- **ويقال أيضًا**: تأويلكم هذا مبني على أصل فاسد عندكم: وهو أنَّ إثبات النزول يلزم منه التشبيه والتجسيم.

وقد أجبنا عن هذا الأصل بما يغني عن إعادته هنا، وبالله التوفيق.

٣. **التفويض**: وهذا مذهب متأخري الأشاعرة، وقد تقدم نقض مذهبهم، ولله الحمد.

٤. **القول بأنَّ النزول صفة أزلية**: وهو مذهب بعض الأشاعرة، قالوا: بأنَّ النزول من صفات الذات الأزلية، وليس فعلًا يحدث بمشيئة الله في وقت معين، وتقدم إبطال هذا المذهب أيضًا.

❁ **ثمرة إثبات صفة النزول**:

ليس المقصود من بحث هذه الصفة خصوصًا، والعقيدة عمومًا: أن نعرف عقيدة أهل السنة والجماعة فقط.

وإنَّما المقصود: أن نخشى الله، وأن نقترب من الله، وأن نتعرف على الله؛ فعقيدتنا ليست مجرد تصديقات.

فالذي يجهل خالقه ومولاه، فإنَّه: لا يحبه، ولا يخاف منه؛ وكلما تعرف العبد على صفات الرب جَلَّوَعَلَا: كان ذلك دافعًا له، ومحفزًا على طاعة الله، ومحبة الله، والإقبال على الله.

وإنَّ من أعظم ثمار إثبات هذه الصفة: هي أن نتحرى أوقات نزول الرب جَلَّوَعَلَا؛ فوقت الأسحار: وقت نزول الغفار جَلَّوَعَلَا.

وهذا الوقت: أشرف وقت يمر على المسلم؛ لذلك لا يوفق لهذا الوقت إلا الأصفياء، الذين يحبهم الله ويناديهم في ذلك الوقت.

فحينما ينادي فيقول سبحانه: «من يدعوني؟» فإنَّ ثمة أناس مستيقظون، يُصلون، يناجون، يستغفرون، يسبحون، ويدعون الله ويسألونه، فيُعيطهم ويغفر لهم، ويرحمهم؛ وسبحان الذي يختص برحمته من يشاء.

والذي ينظر ويتأمل في هذا الحديث: سيتعجب؛ فالله جَلَّوَعَلَا هو الغني، ونحن الفقراء، هو الذي ينزل، وهو الذي ينادي، وهو الذي يقول: «مَنْ يَدْعُونِي مَنْ يَسْأَلُنِي مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي؟».

والعباد في غفلة إلا من رحم الله.

ويا أيها المؤمن العاقل: إذا ما استيقظت من نومك في هذا الوقت المبارك، فإن قدَّر الله لك فصلِّ ركعتين.

وإلا فناج ربَّك واسأله؛ فإنَّه يناديك، وطوبى لعبد استجاب لنداء ربِّه، فقام والناس نيام.

وأعظم ما يُغتنم به هذا الوقت أمران:

الأمر الأول: الصلاة، فصلاة الليل من أحسن النوافل إن لم تكن أحسنها؛ لأنَّ هذا الوقت وقتٌ معظم؛ يناجي العبد ربه ولا أحد يراه، فهو مظنة الإخلاص.

الأمر الثاني: الاستغفار، فقد قال: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذَّارِيَات: ١٨].

فليُكثر الإنسان من الاستغفار، ولا سيما أن الرب جَلَّ وَعَلَا يقول: «مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له؟».

شبهة: هل قرب الله ونزوله جَلَّ وَعَلَا معناه أنه مختلطٌ بخلقه؟

الجواب: قطعًا لا، وحاشاه؛ فهو سبحانه عالٍ في دُنُوِّهِ، قريب في عُلُوِّهُ، بائن عن خلقه.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

رَوَى ذَاكَ قَــوْمٌ لا يُرَدُّ حَــــدِيثُهُمْ ... أَلَا خَــابَ قَوْمٌ كَـــذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا

يقول الناظم: إنَّ الذين رووا أحاديث الصفات: قومٌ لا يُرد حديثهم، وعلى رأسهم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ثم أئمة الحديث الذين جاؤوا بعدهم.

وأحاديث النزول متواترة، ذكر ذلك: ابن عبدالبر[١]، وعبدالغني المقدسي[٢]، والذهبي[٣]، وابن تيمية في كتابه «التسعينية»[٤]، وابن القيم[٥] والسيوطي؛ ولم يُذكر عن أحدٍ من السلف أنَّه أنكر أحاديث النزول.

---

(١) في كتابه: التمهيد (٧/ ١٣٧).
(٢) في كتابه: الاقتصاد في الاعتقاد (ص ١٠٠).
(٣) في كتابه العلو (ص٧٣، ٧٩).
(٤) التسعينية (٣/ ٩١٤). وانظر: شرح حديث النزول (ص ٦٩، ١٤٧، ٣٢٣).
(٥) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٢١، ٢٣٠).

عقيدة أهل السنة
في الصحابة

عقيدة أهل السنة في الصحابة

قال الناظم بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقُلْ: إِنَّ خَيْرَ النَّـــاسِ بَعْدَ (مُـحَمَّدٍ) ... (وَزِيـــرَاهُ) قِدْمًا ثُمَّ (عُثْمَانُ) الْأَرْجَحُ،

وَرَابِعُهُمْ خَـــيْرُ الْبَرِيَّـــةِ بَعْدَهُمْ ... (عَلِيٌّ) حَلِيْفُ الخَـيْرِ، بِالخَـيْرِ مُنْجِحُ،

وإِنَّهُمُ وَالـــرَّهْطُ لَا رَيْـــبَ فِيهِمُ، ... عَلَى نُجُبِ الْفِـرْدَوْسِ فِي الْـخُلْدِ تَسْرَحُ،

(سَعِيدٌ) وَ(سَعْدٌ) وَ(ابْنُ عَوْفٍ) وَ(طَلْحَةٌ) ... وَ(عَامِرُ فِهْرٍ) وَ(الزُّبَيْرُ) الْمُمَـــــدَّحُ،

وَقُلْ: خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَـــــةِ كُلِّهِمْ ... وَلَا تَكُ طَعَّانًـــــا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ؛

فَقَدْ نَطَـــــقَ الْوَحْيُ المُبِينُ بِفَضْلِهِمْ ... وَفِي (الْفَتْحِ) آيٌ لِلصَّحَابَـــةِ تَمْدَحُ،

❊ ❊ ❊

يتكلم الناظم عن مسألةٍ عقديةٍ في غاية الأهمية، لا يزال الحديث عنها منذ العهد الأول، منذ خلافة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى أيامنا هذه.

ولا يزال الصراع قائمًا بين أهل السنة و الجماعة وبين الروافض في هذه المسألة تحديدًا، ألا وهي: مسألة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

۞ أصول أهل السنة والجماعة في الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ:

تقوم عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة على عدة أصول راسخة؛ منها:

أَوَّلًا: محبة الصحابة جميعًا وموالاتهم والترضي عنهم.

يعتقد أهل السنة: أنَّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم خير أصحاب لخير نبي ﷺ، وأنهم أفضل الخلق بعد الأنبياء.

وعلى المسلم: محبتهم، وإجلالهم، والترضي عليهم، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحَشر: ١٠].

ثانيًا: اعتقاد عدالتهم جميعًا.

من عقيدة أهل السنة والجمعة: أنَّ الصحابة كلهم عدول، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ.

ونهى النبيُّ ﷺ عن الوقوع فيهم: كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»(١).

ثالثًا: الإيمان بتفاضلهم.

يعتقد أهل السنة والجماعة: أنَّ الصحابة يتفاضلون فيما بينهم؛ فأفضلهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أصحاب بيعة الشجرة.

رابعًا: الكف عما شجر بينهم.

يمسك أهل السنة والجماعة عن الخوض فيما وقع بينهم من خلاف، ويعتقدون أنَّ ما روي في مساوئهم: إمَّا كذب، وإنمَّا فيه زيادة ونقص.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٥٤٠).

وما صح منه فهم فيه معذورون: إمَّا مجتهدون مصيبون، أو مخطئون، ولهم من الفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم -إن صدر-، ولا يعتقدون عصمتهم من الذنوب، لكن حسناتهم تمحو سيئاتهم.

خامسًا: **التحذير من سبهم أو الطعن فيهم.**

أهل السنة والجماعة: يبغضون من يبغض الصحابة أو يذكرهم بسوء، فحب الصحابة: دين، وإيمان، وإحسان، وبغضهم: كفر، ونفاق، وطغيان.

سادسًا: **الوسطية في الموقف منهم.**

أهل السنة والجماعة: لا يغلون في الصحابة، فيحكموا لآحادهم بالعصمة؛ بل العصمة في مجموعهم، ولا يجفونهم، فيفسقوهم ويكفروهم.

بل يلتزمون الاعتدال والإنصاف في الموقف منهم، فيذكرون محاسنهم، ويستغفرون لهم، ويعتقدون أنَّهم خير القرون.

ومسألة الصحابة، ليست مسألة تاريخية فحسب، تُدرس في السيرة أو التاريخ، بل هي مسألة عقيدة.

فوقع فيها الخلاف بين أهل السنة والجماعة من جهة، وبين المخالفين لهم: كالرافضة، والخوراج، والنواصب.

وهذه المسائل التي قد يستهين بها الناس اليوم، كان سلف الأمة يعظمونها؛ فقد كانوا يعلمون أبناءهم حب صحابة النبي ﷺ كما يعلم الواحد منهم ولده السورة من القرآن، حتى يشب الصغير على حب الصحابة وتعظيمهم.

۞ خطورة الطعن في الصحابة:

من الشبة التي يلقيها أهل الباطل: أنَّ الصحابة بشر يصيبون ويخطئون، ويستدلون بصدور بعض الذنوب والمعاصي من بعضهم: كماعز رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والغامدية رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وغيرهما؛ **فيجاب عن هذه الشبهة بما يلي:**

أوَّلًا: الطعن في الصحابة طريق إلى الطعن في القرآن والسنة، بل في الإسلام كله؛ فالصحابة هم نقلة الوحي وحملته، وهم من طبق الشرع وسار عليه.

ولئن كانوا فجارًا عصاة غير عدول -وحاشاهم- **فكيف يستأمنهم النبي ﷺ على الدين ويأمرهم بتليغه ونشره بين الناس؟!**

وأهل الباطل يجبنون عن الطعن في القرآن ابتداء وتصريحًا؛ وإنما يعمدون إلى الطعن في نقلته وحملته.

فيتبعون الزلات ويقعون على العثرات، مع سوء ظن وخبث طوية، فيذيعون الأخطاء وينشرونها، ويتعامون عن الحسنات والفضائل فيطوونها.

ثانيًا: إنَّ الله أمرنا بسلوك منهجهم، واتباع طريقتهم؛ فإنَّ رب عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النِّسَاء: ١١٥].

والذي يطعن في الصحابة: هو في الحقيقة إنما يطعن في هذا الدين.

لذا الواجب عليك يا صاحب السنة، يا من تحب الله، وتحب رسول الله ﷺ، وتتعبد الله بحب أصحابه، الذين اصطفاهم الله، واختارهم لصحبة نبيه ﷺ.

وقد قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَرَأَى قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاخْتَارَهُ لِرِسَالَتِهِ.

ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَهُ، فَرَأَى قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاخْتَارَهُمْ لِصُحْبَتِهِ.

فَمَا رَآهُ الْمُؤْمِنُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَآهُ الْمُؤْمِنُونَ قَبِيحًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ قَبِيحٌ»(١).

فهذا الجيل اختارهم الله لصحبة النبي ﷺ؛ لما علم صدقهم، وعلم نقاء سريرتهم.

۞ **مسائل تتعلق بالصحابة:**

المسألة الأولى: من هو الصحابي؟

الصحابي: هو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على ذلك؛ ويدخل فيه الأعمى الذي لقي النبي ﷺ ولم يره.

وقيدوا هذا التعريف بقيد فقالوا: ولم يتخلله ردة، فلو أنَّ رجلًا لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ثم ارتد، لا يُعدُّ صحابيًّا، ولكن لو أنه عاد فأسلم، **ففيه تفصيل:**

- إن أسلم في حياة النبي ﷺ ثبتت له الصحبة بإسلامه الثاني.

- وإن لم يُسْلم في حياة النبي ﷺ فإن صحبته مردودة، فلا يُعدُّ من الصحابة؛ وهو قول الأحناف والمالكية.

واستدلوا على هذا القول: بأنَّ الردة كُفر-والعياذ بالله-، والكُفر مُحبط للعمل، والصحبة عَملٌ، فحبطت هذه الصحبة.

(١) أخرجه أحمد في (٣٦٠٠ - ط شاكر)، والحاكم في«المستدرك» (٣/ ٧٨ - ٧٩) بسند حسن.

والله جَلَّوَعَلَا قال: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥].

وأمَّا من آمن بالنبي ﷺ ولم يلقه، فلا يسمى صحابيًا.

وأمَّا من رآه قبل البعثة، وآمن به وصدقه: كورقة بن نوفل، ابن عم خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا:

فقد جاء عند أحمد والترمذي من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لا تَسُبُّوا وَرَقَةَ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ جَنَّةً، أَوْ جَنَّتَيْنِ»[(١)]، ولكن لا يسمى صحابيًا.

المسألة الثانية: من هم العبادلة من الصحابة؟

لفظ «العبادلة» يطلق على كل من اسمه: عبد الله في اللغة.

وأمَّا لفظ العبادلة في اصطلاح العلماء: فيطلق على أربعة من الصحابة، اشتهروا بكثرة العلم والفتيا والرواية؛ وهم:

١. عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا.

٢. وعبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا.

٣. وعبد الله بن الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

٤. وعبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

وقد قيلَ للإمام أحمدَ بن حنبل رَحِمَهُٱللَّهُ: «مَنْ العبادِلَةُ؟

فقالَ: عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ، وعبدُ الله بنُ عمرَ، وعبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ، وعبدُ اللهِ بنُ عمرٍو.

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٠٥).

قِيلَ لهُ: فأينَ ابنُ مسعودٍ؟

قالَ: لا، ليسَ منَ العبادلةِ»[(١)].

قالَ البيهقيُّ: «وهذا لأنَّهُ تقدَّمَ موتُهُ، وهؤلاءِ عاشوا حتَّى احتيجَ إلى علمِهِم، فإذا اجتمعوا على شيءٍ قيلَ: هذا قولُ العبادلةِ»[(٢)].

المسألة الثالثة: كم عدد الصحابة؟

ذكر أبو زرعة الرازي: أنَّ عددهم مئة وأربعة عشر ألفًا؛ وقيل: إنَّ عددهم مئة وأربعة وعشرين ألف صحابي[(٣)].

المسألة الرابعة: من هو آخر الصحابة موتًا؟

آخر الصحابة موتًا: هو أبو الطفيل عامر بن واثلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٤)]؛ وقد توفي سنة ١١٠هـ.

وقد جاء في حديث جابر عند مسلم: أنَّ النبي ﷺ قال: «ما من نفسٍ منفوسة تأتي عليها مائة سنة، وهي حيةٌ يومئذٍ».

وكان هذا في السنة العاشرة للهجرة، وقد مات هذا الصحابي بعد مرور مئة عام من حديث النبي ﷺ.

المسألة الخامسة: من أفضل الصحابة؟

أجمع أهل السنة على أنَّ أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ هم الصحابة، ثم التابعون،

---

(١) طبقات الحنابلة (٢/ ٤٣٧).

(٢) انظر: تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦٧).

(٣) انظر: «الجامع» للخطيب البغدادي (٢/٢٩٣)، غذاء الألباب (٣١/١)

(٤) وهذا قول عامة أهل العلم. وجزم به مسلم في صحيحه وابن الصلاح والعراقي وغيرهم. انظر: فتح الباري لابن حجر (٥/٧)

ثم أتباع التابعين؛ وهذه القرون الثلاثة: هي أفضل هذه الأمة على الإطلاق؛ لحديث عمران بن حصين في الصحيحين[١]، قال ﷺ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

۞ ترتيب الصحابة:

أفضلهم عمومًا هم الخلفاء الأربعة، ثم العشرة المبشرون بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أهل أُحد، ثم أهل بيعة الرضوان.

ثم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار: وهم من أسلم قبل الفتح أو من صلى القبلتين، ثم بقية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا.

وهذه المفاضلة لاعتباراتٍ شرعية:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحَدِيد: ١٠].

وأفضل الأربعة: هو أبو بكر الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقُلْ: إِنَّ خَيْرَ النَّـــاسِ بَعْدَ (مُـحَمَّدٍ) ... (وَزِيـــرَاهُ) قِدْمًا ثُمَّ (عُثْمَانُ) الَارْجَحُ

وَرَابِعُهُمْ خَـــيْرُ الْبَرِيَّـــةِ بَعْدَهُمْ ... (عَلِيٌّ) حَلِيْفُ الخَـيْرِ، بِالخَـيْرِ مُنْجِحُ

والوزيران: هما أبو بكر، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ ولا يمكن لأحد أن يسبق هذين الرجلين في الدين، والإيمان، والعمل، وبما قدماه لدين الله جَلَّ وَعَلَا.

---

(١) البخاري (٢٥٠٨)، ومسلم (٢٥٣٥).

فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قد ورد في فضل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جملة من الأحاديث والآثار الصحيحة؛ **منها**:

١. ما رواه البخاري[(١)]: أنَّ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ».

٢. وقد روى الإمام البخاري في صحيحه، بسنده عن عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي -وهو علي بن أبي طالب-: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟

قَالَ: أَبُو بَكْرٍ.

قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟

قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

ثم يأتيك الشيعةُ اليوم فيقولون: إنَّ أبا بكر وعمر كافران؛ وعلي هو راوي هذا الحديث!!؛ لذلك أجمع أهل السنة والجماعة: **على أنَّ من قدَّم أحدًا على أبي بكرٍ وعمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **فقد ضل**.

٣. وفي الصحيحين[(٢)] من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه سأل النبي ﷺ فقال: «أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

قَالَ: عَائِشَةُ.

فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟

---

(١) برقم (٣٤٩٤).

(٢) البخاري (٣٤٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

فَقَالَ: أَبُوهَا.

قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ؛ فَعَدَّ رِجَالًا».

فأبو بكر الصديق بإجماع أهل السنة: هو ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠].

٤. وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي»[1].

٥. وفي الصحيحين[2] عن مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ -كَأَنَّهَا تَقُولُ: الْمَوْتَ-.

قَالَ ﷺ: إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ.

وكان النبي ﷺ في مرض موته يقول: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»[3].

فضائل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وأمّا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهو الثاني في الفضل، فاروق هذه الأمة الذي نصر الله به الإسلام، وأيد به هذا الدين، وزكى الله إيمانه وقلبه، وفرق الله به بين الحق والباطل؛ **وقد ثبت في فضله أحاديث كثيرة؛ منها:**

١. ما رواه البخاري[4] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أُرِيتُ

---

(١) رواه البخاري (٣٤٥٦).
(٢) رواه البخاري (٣٤٥٩)، ومسلم (٢٣٨٦).
(٣) رواه البخاري (٦٣٣)، ومسلم (٤١٨).
(٤) برقم (٣٤٧٩).

فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَنْزِعُ بِدَلْوِ بَكْرَةٍ عَلَى قَلِيبٍ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ نَزْعًا ضَعِيفًا، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ.

ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ، حَتَّى رَوِيَ النَّاسُ وَضَرَبُوا بِعَطَنٍ».

٢. وروى البخاري[١] عن سعد بن أبي وقاص: أنَّ النبي ﷺ قال لعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِيهًا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».

٣. وروى البخاري[٢] عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه قال: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ».

٤. وأخرج البخاري[٣] عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «وُضِعَ عُمَرُ عَلَى سَرِيرِهِ، فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُصَلُّونَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، وَأَنَا فِيهِمْ، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَجُلٌ آخِذٌ مَنْكِبِي.

فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَتَرَحَّمَ عَلَى عُمَرَ وَقَالَ: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ.

وَايْمُ اللهِ، إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَحَسِبْتُ: إِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ».

---

(١) برقم (٣٤٨٠).
(٢) برقم (٣٤٨١).
(٣) برقم (٣٤٨٢).

فضائل عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

وأمَّا الرجل الثالث في الفضل: فهو عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، الذي تزوج بنتي رسول الله ﷺ، فنال شرفًا وفضلًا عظيمًا.

ولما جهز جيش العسرة، قال له النبي ﷺ: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ مَرَّتَيْنِ»(١).

وكان يستحي منه، ويقول: «ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة»(٢).

فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

والرابع في الفضل: هو علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ زوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ، والد الحسن والحسين؛ **وقد ورد في فضله أحاديث كثيرة؛ من ذلك:**

١. أنَّ النبي ﷺ قال له: «ألا تَرضى أن تكونُ مِنِّي بمَنزِلةِ هارونَ من موسى إلَّا أنَّه ليسَ نَبيٌّ بَعْدي»(٣).

٢. ومن الأحاديث العظيمة التي تبين علو منزلته، وكبير فضله، ما رواه الشيخان(٤) عن سَهلِ بنِ سَعدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال يومَ خَيبَرَ: «لأعطينَّ هَذِه الرَّايةَ غَدًا رَجُلًا يَفتَحُ اللهُ عَلى يَدَيه، يُحِبُّ اللهَ ورَسولَهُ ويُحِبُّهُ اللهُ ورَسولُهُ.

قال: فباتَ النَّاسُ يَدوكونَ ليلتَهُم أيُّهم يُعطاها، فلَمَّا أصبَحَ النَّاسُ غَدَوا عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ كُلُّهم يَرجو أن يُعطاها؛ فقال: أينَ عليُّ بنُ أبي طالِبٍ؟

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٠١) وحسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٤٠١).

(٣) رواه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٤) رواه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

فقيلَ: هو يا رَسولَ اللهِ يَشتكي عَينَيه.

قال: فأرسِلوا إلَيه؛ فأُتِيَ به، فبَصقَ رَسولُ اللهِ ﷺ في عَينَيه ودَعا لهُ: فبَرَأَ حَتَّى كأنْ لم يَكُنْ به وجَعٌ، فأعطاهُ الرَّايةَ فقال عَليٌّ: يا رَسولَ اللهِ أقاتِلُهم حَتَّى يَكونوا مِثلَنا؟

فقال ﷺ: انفُذْ عَلى رِسلِكَ حَتَّى تَنزِلَ بساحَتِهِم، ثُمَّ ادْعُهم إلى الإسلامِ وأخبِرْهم بما يَجِبُ عليهِم من حَقِّ اللهِ تعالى فيه، فواللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا خَيرٌ لكَ من أن تَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

مسألة: هل وقع خلاف في تفضيل عثمان على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟

وقع خلافٌ عند أهل السنة في بداية الأمر؛ للأحاديث الكثيرة الواردة في فضل علي، ثم استقر القول عند أهل السنة على تقديم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وينبغي التنبيه على أنَّ هذا الخلاف في الفضل لا في الخلافة.

وأمَّا العشرة المبشرون بالجنة: فأولهم الخلفاء الأربعة، وأمَّا بقية العشرة المبشرين بالجنة، فقد جمعهم الناظم في بيت واحد، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(سَعِيدٌ) وَ(سَعْدٌ) وَ(ابْنُ عَوْفٍ) وَ(طَلْحَةٌ) وَ(عَامِرُ فِهْرٍ) وَ(الزُّبَيْرُ) الْمُمَدَّحُ

وهؤلاء بشرهم النبي ﷺ بالجنة في حياته، في حديث واحد؛ وهم: سعيدٌ بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيدالله، وأبو عبيدة عامر ابن الجراح، والزبير بن العوام.

فقد أخرج الترمذي[1] عن عبدالرحمن بن عوف قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: «أبو بَكْرٍ في الجَنَّةِ، وعُمرُ في الجَنَّةِ، وعُثمانُ في الجَنَّةِ، وعَليٌّ في الجَنَّةِ، وطَلحةُ في الجَنَّةِ،

(١) برقم (٣٧٤٧)، وصححه الألباني.

والزُّبَيْرُ في الجَنَّةِ، وعَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ في الجَنَّةِ، وسَعدٌ في الجَنَّةِ، وسَعيدٌ في الجَنَّةِ، وأبو عُبيدةَ بنُ الجَرَّاحِ في الجَنَّةِ».

فضائل طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١. روى مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ كانَ عَلى جَبَلِ حِراءَ فقال: «اسكُنْ حِراءُ؛ فما عليكَ إلَّا نَبيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شَهيدٌ.

وعليه: النَّبيُّ ﷺ، وأبو بَكْرٍ، وعُمرُ، وعُثمانُ، وعَليٌّ، وطَلحةُ، والزُّبَيْرُ، وسَعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم-»[1].

٢. وقد روى البخاري في صحيحه[2] عن قيس بن أبي حازم قال: «رَأيتُ يَدَ طَلحةَ شَلَّاءَ؛ وقى بها النَّبيَّ ﷺ يومَ أُحُدٍ».

٣. وعنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كانَ عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ دِرْعانِ، فنَهَضَ إلى الصَّخرةِ فلَم يَستَطِع.

فأقعَدَ تَحتَهُ طَلحةَ، فصَعِدَ النَّبيُّ ﷺ حَتَّى استَوى عَلى الصَّخرةِ، قال: فسَمِعتُ النَّبيَّ ﷺ يَقولُ: أوجَبَ طَلحةُ»[3].

فضائل الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ لكُلِّ نبيٍّ حوارِيًّا، وإنَّ حَوارِيَّ الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ»[4].

---

(١) مسلم (٢٤١٧).

(٢) رواه البخاري (٤٠٦٣).

(٣) رواه الترمذي (٣٧٣٨) وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري (٢٨٤٧)، ومسلم (٢٤١٥).

فضائل سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

من أعظم فضائله: أنَّ النبي ﷺ فداه بأبويه، لما كان يرمي المشركين بالنبال؛ دفاعًا عن النبي ﷺ.

فعن سعيد بن المسيِّب قال: سَمِعتُ سَعدًا يَقولُ: «جَمعَ لي النَّبيُّ ﷺ أبَوَيه يَومَ أُحُدٍ»[(١)].

فضائل عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وردت له فضائل؛ **منها:**

ما رواه أحمد عن أمِّ سَلَمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ لأزواجِه: «اللَّهمَّ اسقِ عَبدَ الرَّحمَنِ بنَ عَوفٍ مِن سَلْسَبيلِ الجَنَّةِ»؛ أخرجه أحمد[(٢)].

فضائل أبي عبيدة عامر بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن أَنَسِ بن مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: «إنَّ لكُلِّ أمَّةٍ أمينًا، وإنَّ أمينَنا -أيَّتُها الأمَّةُ- أبو عُبيدةَ بنُ الجَرَّاحِ»[(٣)].

فضائل سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، ابن عم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أسلم مبكرًا، وثبت على إسلامه.

وبشره النبي ﷺ بالجنة كما في الحديث المتقدم ذكره؛ وفيه قال: «وسَعيدٌ في الجَنَّةِ».

---

(١) رواه البخاري (٣٧٢٥)، ومسلم (٢٤١٢).

(٢) في مسنده (٢٦٥٥٩).

(٣) رواه البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩).

۞ الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في مسألة الصحابة.

انقسم الناس في الصحابة إلى أربعة فرق:

الفرقة الأولى: الروافض -الشيعة الإمامية-:

يعتقد الروافض: أنَّ غالب الصحابة ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ إلا نفرًا يسيرًا، ويطعنون في عدالتهم، ويلعنونهم صباح مساء.

ويستثنون فقط: آل البيت، وبعض الصحابة: كسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهم منهم براء.

فقد روى الكليني -وهو من أئمة الروفض- بسنده عن أبي جعفر قال: (كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة...)[1].

ويقول بعضهم: إنَّ الصحابة كفروا بعد وفاة النبي ﷺ، لا في حياته؛ لتفادي التعارض مع مدح القرآن لهم.

وقد غلا الروافض في آل البيت غلوًّا لا نظير له؛ فجعلوهم أهل عصمة؛ بل بعضهم يجعلهم أربابًا من دون الله، والعياذ بالله.

وفي المقابل: اعتقدوا في الصحابة أبشع ما يمكن أن يعتقده منتسب للإسلام في حق الصحابة الأطهار الأبرار.

وما عقيدتهم اليوم في زمن التواصل والفضائيات بسرٍّ؛ فقد بتنا نسمع، ونشاهد، ونقرأ تلك العقيدة: الحاقدة، المسمومة، والتي تكاد تدل دلالة ظاهرة على أنَّ هؤلاء القوم: أعظم خطرًا على الأمة من أعدائها الظاهرين.

(١) انظر: الكافي (٨/ ٢٤٥)، بحار الأنوار (٢٢/ ٣٣٣).

والحمد لله الذي أوجد فضائيات، وأصبحنا نراهم ونسمعهم وهم يسبون ويلعنون، ويشتمون صباحًا ومساءً، ويكفرون الصحابة، ويكفرون أهل السنة والجماعة؛ فقد كان فئامٌ من أهل السنة: يحسنون الظن بهم، بل لا يصدقون ما يذكره أهل العلم عنهم.

وكفانا ما فعلوا في العراق، وما فعلوا في اليمن، وما فعلوا في الشام وفي لبنان، من ذبح، وقتل، وتقتيل لأهل السنة والجماعة بأبرد دم.

الفرقة الثانية: الخوارج:

الخوارج من أخطر الفرق على الأمة، فقد كفروا علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ومن معه، بعد قضية التحكيم التي جرت بين علي ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ وخرجوا عليهم واستباحوا الدماء.

الفرقة الثالثة: النواصب:

النواصب فرقة كانت تفضل بني أمية على باقي المسلمين، وسموا نواصب؛ لأنَّهم ناصبوا آل البيت العداء، فكانوا يسبون آل البيت ويطعنون فيهم.

وهذه الفرقة: لا تزال تطل بذيولها في الأمة بين حين وحين، ولكن من المغالطات الكبيرة تسمية: أهل السنة عمومًا بالنواصب، وهي تهمة رافضية يطلقها الروافض على أهل السنة.

والحق الذي لا مرية فيه: أنَّ أهل السنة بريئون من النصب جملة وتفصيلًا.

ثم أشار الناظم إلى أنَّ القرآن الكريم مدح الصحابة فقال رَحِمَهُٱللَّهُ:

فَقَدْ نَطَــــقَ الْوَحْيُ المُبِينُ بِفَضْـلِهِمْ ... وَفِي (الْفَتْحِ) آيٌ لِلصَّحَابَــــةِ تَمْدَحُ

أي في سورة الفتح: آيات تمدح صحابة النبي ﷺ، وهي قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥].

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر

قال الناظم ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَبِالْقَـــــدَرِ الْـمَقْـدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ دِعَامَةُ عَقْـــــدِ الدِّينِ، وَالدِّيـنُ أَفْيَحُ

***

تمهيد:

الإيمان بالقدر خيره وشره: ركن من أركان الإيمان؛ **وقد دلَّ على الإيمان بالقدر جملة من الأدلة من الكتاب والسنة؛ منها:**

١. قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القَمَر: ٤٩].

فقد روى مسلم في صحيحه[(١)] عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «جاء مُشركِو قُرَيشٍ يخاصمون رسولَ اللهِ ﷺ في القَدَرِ.

فنزلت: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القَمَر: ٤٨ - ٤٩]».

٢. وقد جاء التصريح بذكره في أركان الإيمان في حديث عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ جبريلَ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ سأل النبيَّ ﷺ عن الإيمانِ، فقال: «أن تؤمِنَ باللهِ وملائِكَتِه وكُتُبِه ورُسُلِه واليَومِ الآخِرِ، وتؤمِنَ بالقَدَرِ خَيرِه وشَرِّه»[(٢)].

(١) مسلم (٢٦٥٦).
(٢) أخرجه مسلم (٨).

❁ **معنى الإيمان بالقدر:**

الإيمان بالقدر: هو أن نؤمن بعلم الله تعالى بالأمور وبتقديره لها قبل حدوثها، وكتابته لذلك، وبأفعال الله جَلَّوَعَلَا وإرادته ومشيئته وخلقه وإيجاده لها.

❁ **مراتب القدر:**

إنَّ فهم مراتب القدر يعين المؤمن على فهم القدر، فهمًا تامًّا صحيحًا يدفع عنه كل شبه يمكن أن ترد في هذا الباب.

وهذه المراتب دلت عليها نصوص الكتاب والسنة.

المرتبة الأولى: العلم.

فلا يقع شيء إلا بعلم الله، فالله يعلم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وأدلتها كثيرة؛ **منها:** قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَىۡءٍ عِلۡمًا﴾ [طه: ٩٨].

ومن لم يكن عالمًا، فإنَّه: لا يستحق أن يكون إلهًا.

ومثال قولنا: "ما لم يكن لو كان كيف سيكون":

قوله عَزَّوَجَلَّ عن أهل النار: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

فالله جَلَّوَعَلَا يخبر عن أهل النار من الكفار، أنَّهم: لو خرجوا منها -وهذا لن يكون- لعادوا لما كانوا عليه من الكفر والشرك.

المرتبة الثانية: الكتابة.

فالله جَلَّوَعَلَا علم كل شيء، وكتبه في اللوح المحفوظ؛ والدليل على هذه المرتبة:

١. قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

٢. وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند مسلم في صحيحه[١]؛ قال النبي ﷺ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قالَ: وَعَرْشُهُ علَى المَاءِ».

والعلم قبل الكتابة؛ فرب العزة والجلال، علم أنَّ فلانًا من الناس سيكون: كافرًا، فكتب عليه الكفر.

ولو أنَّ الله جَلَّوَعَلَا كتب الكفر على عباده قبل أن يعلم -وهو العليم بما سيقع منه-: لكان حسابه لهم يوم القيامة ظلمًا وحاشا لله، ولكان هذا جبرًا، وللزم منه: أنَّ الله كتب شيئًا لا يعلمه، وهذا نقص في حقه جَلَّوَعَلَا.

ولذلك من ضبط هذه المتربة: أغلق على نفسه كل شبهة في مسألة القدر.

المرتبة الثالثة: المشيئة والإرادة.

أي أنَّ الله علم بسابق علمه: أنَّ فلانًا سيكون كافرًا، فكتب عليه ذلك في اللوح المحفوظ.

ثم شاء الله جَلَّوَعَلَا وأراد هذا الشيء -على تفصيل سيأتي في مسألة الفرق بين الإرادة الكونية والإرداة الشرعية-.

(١) مسلم (٢٦٥٣).

ولو قلنا: إنَّ الله علم الكفر فكتبه، ولكنه ما شاءه، ولا أراده؛ لزم من هذا: أنَّ شيئًا يحدث رغمًا عن إرادته؛ وهذا كفر؛ نسأل الله السلامة والعافية.

فما شاء اللهُ كان، وما لم يشَأْ لم يكُنْ، فلا حركةَ ولا سكونَ في السَّمَواتِ والأرضِ إلَّا بمشيئته سبحانه، ولا يكون في مُلكِهِ إلَّا ما يشاء، لا يخرُجُ عن ذلك شيءٌ؛ لذلك لا يحدث شيء في هذا الكون أبدًا إلا بمشيئة الله وإرادته.

قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التَّكوِير: ٢٩].

المرتبة الرابعة: الخلق والإيجاد.

أي أنَّ الله بعد علمه بالأشياء، وكتابته لها، وإرادته لها: خلقها وأوجدها، ولو أنَّه لم يخلقها؛ للزم من هذا: أنَّ الله أراد شيئًا لم يخلقه.

ولو أنَّه: أوجده قبل أن يشاءه لقلنا: أوجد شيئًا قبل أن يريده؛ وهذا أيضًا نقص في حق الرب جَلَّوَعَلَا.

۞ مسائل تتعلق بالقدر:

المسألة الأولى: هل الأخذ بالأسباب فيه منافاة للقدر؟

إنَّ الأخذ بالأسباب: لا ينافي الإيمان بالقدر، بل هو من تمام الإيمان به، فإنَّ الله تعالى قدَّر المقادير وكتبها، وجعل لكل شيء سببًا، وأمر عباده بالأخذ بالأسباب والسعي في الأرض وطلب الرزق، مع الإيمان: بأنَّ النتائج كلها بيد الله وحده.

وأنَّ الأسباب لا تعطي شيئًا إلا بإذنه سبحانه، وقد قال لمريم في مخاضها: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ [مَريَم: ٢٥].

وقال لعباده كلهم: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾ [المُلك: ١٥].

وإذا قال قائل: نحن نعلم أنَّ كل شيء وقع وسيقع: هو بأمر الله جَلَّ وَعَلَا؛ **فلماذا العمل ولماذا السعي إذن، ما دام أنَّ كل شيء مكتوب قبل أن يخلق؟!**

فنقول جوابًا عليه: إنَّ ترك الأسباب بحجة الإيمان بالقدر: هو جهل وضلال؛ لأنَّ الله تعالى أمرنا بفعل الأسباب، وجعلها من قدره، فلا يجوز تعطيلها ولا الاعتماد عليها وحدها، بل يجب الجمع بين التوكل على الله وفعل الأسباب.

كما أنَّ أعظم الخلق إيمانًا بالقدر: هو النبي ﷺ كان يأخذ بالأسباب، وقد امتلأت سيرته العطرة بشواهد ذلك؛ **منها**:

- أنَّه لما أسري به إلى بيت المقدس على البراق، مع جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ربط البراق بالحلقة التي يربط بها الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ؛ **وهل يوجد عاقل يمكن أن يشك أنَّ البراق سيهرب؟ إذن لماذا ربطه النبي ﷺ؟**

الجواب: حتى يعلمنا الأخذ بالأسباب.

- وكذلك تغيير طريقه في الهجرة.
- وكذلك حفره الخندق يوم الأحزاب.

لذلك إنَّ من عقيدتنا أننا نأخذ بالأسباب، ونتوكل على رب الأرباب؛ وأمَّا عدم الأخذ بالأسباب: فلا يعد توكلًا حقيقيًا على الله؛ وإنَّما يسمى تواكُلًا.

المسألة الثانية: **أنواع الإرادة**:

من المسائل المهمة التي تعين على فهم القدر فهمًا صحيحًا سليمًا: معرفة أنواع

الإرادة؛ **فالإرداة عند أهل السنة والجماعة إرادتان:**

١. **إرادة شرعية: وهي ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال**: كالإيمان، والطاعة، والعدل، والبر.

وهذه الإرادة: لا يلزم منها وقوع المراد؛ فقد يريد الله من عباده الإيمان، والطاعة شرعًا: كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، لكن قد لا يقع ذلك من بعضهم؛ لأنَّهم يعصون أو يكفرون بدليل: وجود الشرك والمعاصي.

فالإرادة الشرعية متعلقة بما أمر الله به، وشرعه لعباده، وهي مرادفة للمحبة والرضا.

٢. **الإرادة الكونية القدرية**: وهي ما يشاؤه الله في الكون، ولا بد أن يقع؛ أحبه الله أو لم يحبه؛ مثل: الإيمان والكفر.

فوقوع الكفر من بعض الناس بإرادته الكونية؛ إذ لو لم يكن بإرادته الكونية: فإنَّ ذلك نقص في حق الإله.

فالكفر والعصيان: لا يريده شرعًا، ويريده: قدرًا وكونًا.

لذلك إذا قال لك مجادل في القدر: الله كتب عليَّ العصيان.

فقل له: الله علمه منك، ولم يرده ثم كتبه عليك.

فإنَّ قال: لماذا وقع مني إذا لم يرده؟!

فقل له: لم يرده شرعًا، بل ولا يرضاه، كما قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [الزُّمَر: ٧]؛ ولكن يريده كونًا وقدرًا.

فلا شيء يقع إلا بأمره، ولو وقع دون إرادته: لم يكن إلهًا بحق، وحاشاه جل في علاه.

المسألة الثالثة: هل للعبد مشيئة؟

قبل الجواب على هذا السؤال، يحسن التنبيه على أنَّ قول القائل: **هل الإنسان مسير أو مخير؟** فهذا سؤال: لم يرد على لسان السلف، لذا نتوقف فيه.

وإنما السؤال الصحيح عند أهل السنة والجماعة: هو قولهم: **هل للعبد مشيئة وإرادة أو ليس له مشيئة وإرادة؟**

الجوب: للعبد مشيئة وإرادة، ولكن مشيئة العبد وإرادته واقعة تحت مشيئة الله جَلَّ وَعَلَا.

إذ لو كان للعبد مشيئة، وإرادة خارجة عن إرادة الله جَلَّ وَعَلَا: لكان العبد يفعل ما يشاؤه هو، ويريده هو، خارجًا عن قدرة الله وعلمه وإرادته.

ولا شك: أنَّ ذلك نقص في حق الخالق القدير، وضل في هذا القدرية -كما سنبين قريبًا-.

ولو لم يكن للعبد مشيئة، وإرادة: لكان مجبراً على جميع الأفعال؛ **فكيف يحاسبه وقد أجبره؟!**

المسألة الرابعة: أفعال العباد تنسب إلى الله إيجادًا وخلقًا، وللعباد تحصيلًا واكتسابًا، فلا تنسب لهم مطلقًا.

وهذه قاعدة نفيسة؛ يضبط بها باب نسبة الأفعال إلى الله جَلَّ وَعَلَا.

فالعبد: لا يخلق فعل نفسه، بل الله خالقه، وخالق فعله، وقد قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصَّافَّات : ٩٦]؛ لأنَّها لو لم تكن كذلك: لكان العبد يفعل ما لا يعلمه الله أو يريده.

ولكن هذه الأفعال: تنسب للعباد باعتبار أنَّهم محصلون لها، ومكتسبون لها؛ لأنَّها لو لم تكن كذلك، لما جاز حسابهم عليها.

والدليل على أنَّ للعبد مشيئة واقعة تحت مشيئة الله:

قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التَّكوير : ٢٨ - ٢٩].

المسألة الخامسة: يحتج بالقدر في المصائب، ولا يحتج به في المعائب.

لا يجوز للعبد: أن يحتج بالقدر على الأمور التي تجلب العيب عليه عند الله جَلَّوَعَلَا ؛ فلا يترك الصلاة محتجًّا: بأنَّ الله ما قدر عليه الصلاة، أو أنَّ الله ما قدر له أن يكون من الصالحين، ولا شك أنَّ هذا احتجاج باطل.

وهذا على طريقة الكفار الذين كانوا يحتجون بالقدر على كفرهم، قال الله في بيان مقالتهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ [النَّحل : ٣٥] .

وأمَّا المصائب: فيجوز للعبد أن يحتج بالقدر عليها، وهو من كمال الإيمان بالله تعالى وبقضائه وقدره.

قال الله مادحًا عباده الصابرين: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البَقَرَة : ١٥٥ - ١٥٦] .

وقد أخرج سعيد بن منصور في سننه عن علقمة في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التَّغَابُن: ١١]؛ قال: «هي المُصيباتُ تُصيبُ الرَّجلَ، فيعلمُ أنَّها من عندِ اللهِ؛ فيُسلِّمُ لها ويَرضى»[(١)].

وقد روى مسلم في صحيحه[(٢)] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ.

وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

فلو قدر الله عليه حادثًا، وكان قد أخذ بالأسباب الشرعية الصحيحة، فمات ولده في الحادث، أو أهلك سيارته، أو أهلك نفسًا، فإنَّه: يحتج بالقدر فيقول: قدرالله وما شاء فعل.

المسألة السادسة: ما حكم الاعتراض على أقدار الله؟

إنَّ الاعتراض على أقدار الله: كبيرة من الكبائر، ومن أقبح صور ذلك: ما نسمعه من عبارات التسخط والجزع، بل والكفر أحيانًا مِن بعض مَن يموت له ميت، أو يقع له حادث، أو يخسر مالًا في تجارة، وغير ذلك من مصائب الدنيا.

والمؤمن حق الإيمان يؤمن بالقدر خيره وشره، ويعلم قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

---

(١) سنن سعيد بن منصور (١٠٤/٨-١٠٥) وعلقه البخاري في "صحيحه" بصيغة الجزم، قال: «وقال علقمة، عن عبد الله: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}: هو الذي إذا أصابته مصيبة رضي وعرف أنَّها من الله».

(٢) برقم (٢٦٦٤).

ويعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنَّ البلاء الذي ينزل به: هو في الحقيقة خير له.

قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿عَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البَقَرَةِ: ٢١٦].

والله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ منزَّهٌ عن الظُّلم، ومتَّصِفٌ بالعدل، فلا يظلِمُ أحدًا مِثقالَ ذَرَّةٍ، وكُلُّ أفعاله: عدلٌ ورحمةٌ، وموافقةٌ للحكمة.

المسألة السابعة:ما حكم الدعاء بقول: اللهم إني لا أسالك رد القضاء، ولكن أسالك اللطف فيه؟

هذا دعاء منتشر على ألسنة الناس؛ حتى إنَّ بعض الأئمة يدعو به في رمضان، وهذا الدعاء ليس صحيحًا، وليس من الأدعية النبوية؛ لأنَّه يجوز لك: أن تدعو الله برد القضاء؛ **وقد دل على ذلك الكتاب والسنة؛ من ذلك:**

١. قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾ [الفَلَق: ١ - ٢]، فأنت تستعيذ بالله جَلَّوَعَلَا من شر ما خلق.

٢. وفي البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ»[(١)].

وفي رواية للبخاري[(٢)]: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ».

٣. وكان من دعائه ﷺ قوله: «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ»[(٣)].

(١) البخاري (٥٩٨٧)، ومسلم (٢٧٠٧).
(٢) برقم (٦٣٤٢).
(٣) رواه أبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤) وصححه الألباني.

۞ **الطوائف التي ضلت في باب القدر.**

الطائفة الأولى: القَدَريَّة.

وهم نفاة القدر، الذين ينكرون: أنَّ الله تعالى قدَّر أفعال العباد وخلقها، ويزعمون: أنَّ العبد يخلق فعل نفسه، والله لا يعلم بالأشياء إلا بعد وقوعها.

وهم أتباع: معبد الجهني؛ ظهروا في زمن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

ومن الفرق التي على هذه العقيدة الفاسدة: المعتزلة، والشيعة، وطوائف من الخوارج.

الطائفة الثانية: الجَبْرية.

وهم الذين غلوا في إثبات القدر حتى نفوا عن العبد الفعل والاختيار؛ فزعموا: أنَّ البعد مجبور على أفعاله كلِّها، لا إرادة له ولا قدرة: كالريشة في مهب الريح.

فكل ما يقع من الإنسان: هو فعل الله حقيقة، والفعل ينسب إلى العبد مجازًا؛ **وينتسب إلى هذه الفاسدة**: الجهمية، وبعض غلاة المرجئة، والصوفية.

وقد تقدم نقض قول هاتين الطائفتين فيما سبق؛ **وخلاصة ذلك**:

أنَّ القول بالقدر نقص في حق الخالق القدير جَلَّوَعَلَا، واتهام له بالجهل.

وأمَّا القول: بالجبر، **فكيف سيحاسب الله عباده إذا كانوا مجبورين على أفعالهم؟!**

الطائفة الثالثة: الأشاعرة:

الأشاعرة ليسوا جبرية محضة ولا قدرية محضة، بل هم أصحاب مذهب يسمى "مذهب الكسب" أو "التوفيقية".

وهو مذهب يحاول التوفيق بين الجبر والقدر، فيرى: أنَّ الله تعالى: هو الخالق لكل شيء، وأنَّ العبد له كسب واختيار في أفعاله، لكن هذا الكسب لا يؤثر في وقوع الفعل.

فالفعل خلق لله وكسب للعبد؛ أي أنَّ الله يخلق الفعل عند اقتران قدرة العبد به؛ لكن قدرة العبد: لا تأثير لها في إيجاد الفعل، وإنما الفعل يحصل بقدرة الله وحده.

والعبد مجرد محل للفعل، فهو **مجبور في صورة مختار**؛ لذلك الأشاعرة هم من معطلة الأسباب الذين ينكرون تأثير الأسباب في حصول المسببات.

ويجعلون الأسباب مجرد علامات أو قرائن على وقوع الشيء، وليس لها أي تأثير حقيقي في وجوده.

وهذا قول غاية في الضعف والضلال؛ **إذ كيف يحاسب القاتل إذا كان موت المقتول لم يحصل بسبب قتله؟!**

المسألة التاسعة: هل الكتابةُ تتغَيَّرُ أو لا تتغيَّرُ؟

الجوابُ: الكتابة كتابتان:

- كتابة في اللوح المحفوظ، وهذه لا تتغير.
- وكتابة في صحف الملائكة، وهي التي تتغير.

قال الله تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرَّعد: ٣٩].

فأم الكتاب: **هو اللوح المحفوظ**، وليس فيه محوٌ ولا كتابة، فما كُتِب فيه: كائِنٌ ولا تغييرَ فيه.

ولكن ما كُتِبَ في الصُّحُفِ التي في أيدي الملائكةِ، فهذا الذي فيه: محوٌ وكتابة؛ وعلى هذا يفهم: حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «من سَرَّه أن يُبسَطَ عليه رِزقُه أو يُنسَأَ في أَثَرِه: فلْيَصِلْ رَحِمَه» [١].

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).

فتنة القبر
و الحوض والميزان

فتنة القبر و الحوض والميزان

قال الناظم بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلَا تُنْكِــرَنْ - جَهْلًا- نَكِيرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الْحَـــوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

***

تحدث الناظم في هذا البيت عن ثلاث مسائل عقدية:

المسألة الأولى: فتنة القبر.

ودل عليها قوله:

وَلَا تُنْكِــرَنْ - جَهْلًا- نَكِيرًا وَمُنْكَرًا......

والمقصود بفتنة القبر: هو سؤال الملكين للعبد المقبور عن:

- ربه الذي كان يعبده.

- ودينه.

- ونبيه ﷺ.

وندرس تحت هذه المسألة أمورًا:

أولًا: أجمع أهل السنة على إثبات فتنة القبر.

وقد نقل هذا الإجماع: أبو الحسن الأشعري، وابن عبدالبر، وابن تيمية، وغيرهم[1].

(١) انظر: رسالة إلى أهل الثغر (١٥٩)، طبقات الحنابلة (١/ ٢٤٢)، مجموع الفتاوى (٧/ ٤٣٥).

ثانيًا: أحاديث فتنة القبر متواترة، ذكر ذلك: شيخ الإسلام، ابن تيمية، وابن القيم، والسيوطي: عن أنس، والبراء، وأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ(١)؛ **ومن تلك الأحاديث**:

١. حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ.

فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ.

فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا - قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا: أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ-.

قَالَ: وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟

فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ.

فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»(٢).

٢. وقد كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من فتنة القبر دبر كل صلاة؛ كما في حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ»(٣).

واعلم أيها المسلم: أنَّ هذه المسألة من مسائل العقدية التي لا يجوز فيها المزاح، أو التندر، والضحك.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٥ - ٥/ ٥٢٦)، شرح الصدور للسيوطي (١٢١).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٦٨).

فإنَّك تسمع اليوم بعض الناس ممن يذكرون فتنة القبر على سبيل الاستهزاء، والتندر: بأنَّها أسئلة سهلة، أو بأنَّ الملائكة تقول للعبد: تغيرت الأسئلة والعياذ بالله.

والسخرية والاستهزاء في الدين: كفر.

قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التَّوبَة: ٦٥ – ٦٦].

ثالثًا: هل ثبتت تسمية الملكين بمنكر ونكير كما ذكر الناظم؟

الجواب: أحاديث فتنة القبر التي في الصحيحين، لم يرد فيها تسمية الملكين بمنكر ونكير، كما في حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ المتقدم.

ولكن جاءت التسمية في سبعة وأربعين حديثًا عند أحمد، والترمذي، وابن حبان وغيرهم: بأسانيد جلها ضعيفة، وبعضها حسن؛ مما يدل بمجموعها على أنَّ لهذه التسمية أصلًا.

وقد تتابع أهل العلم على إثبات هذه التسمية وعلى رأسهم: الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُٱللَّهُ(١).

رابعًا: هل فتنة القبر على الروح أو على الروح والبدن؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنَّ السؤال واقع على الروح فقط؛ وهو قول: ابن حزم.

(١) انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٥٥).

استدلالًا:

١. بأنَّ الإحياء والإماتة المذكورين في القرآن يقعان مرتين فقط، كما في قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ [غَافِر: ١١].

فلو كان الميت يحيا في قبره روحًا وبدنًا، لكان الله تعالى قد أماتنا جَلَّوَعَلَا، وأحيانا ثلاثًا[(١)].

٢. كما استدلوا بعدم وجود دليل على إحياء الروح والبدن.

القول الثاني: أنَّ السؤال واقع على الجسد فقط؛ وهو قول ابن الزاغوني، وحكي عن ابن جرير، وهو أضعف الأقوال، وقد أنكره: جمهور أهل السنة[(٢)].

القول الثالث: أنَّ السؤال واقع على الروح والجسد؛ وهو قول جماهير أهل السنة والجماعة، وحكي الإجماع عليه[(٣)].

ورجحه عامة المحققين: كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره؛ وهو الراجح.

ويجاب عن استدلال ابن حزم بالآية: أنَّ الحياتين المثبتتين لا تدلان على نفي غيرهما.

ودليله: قتيل بني إسرائيل الذي كان ميتًا، فأحياه الله لما ضربوه ببعض لحم البقرة، فهذا الرجل صارت له ثلاثًا.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٥٦).

(٢) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (٣٩٥).

(٣) قال ابن القيم في كتابه: الروح (١/ ١٢٠) بعد أن نقل القول بإعادة الروح والبدن: «وذهب إلى القول بموجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث من سائر الطوائف».

والتوجيه الصحيح للآية: أنَّ الحياة المتسقرة لا تكون إلا مرتين كما هو ظاهر الآية.

وأنَّ إعادة الروح للبدن في القبر للسؤال: لا يدل على حياة مستقرة، وإنما يدل على تعلقها به؛ والله أعلم.

من ثمار هذه المسألة:

إنَّ أعظم شيء يمكن أن يهتم به العبد في هذه الدنيا: هو الشيء الذي سيُسأل عنه في قبره؛ لذلك لا ينبغي لعبد عاقل، عارف بالله: أن يغفل عن هذه الأسئلة في حياته، فيعلمها، ويعمل بها، ويطبقها، ويعلمها لمن هم تحت مسؤوليته.

والأسئلة التي سيُسأل عنها في قبره ينبني عليها مصيره:

- إمَّا إلى جنةٍ؛ أسأل الله أن نكون منهم.
- وإمَّا إلى نارٍ؛ أعاذني الله وإياكم من النار وأهلها.

وهذه الأسئلة ليست أسئلةً عادية، وليس اختبارًا دنيويًا، فلا غش فيها، ولا يجيب عنها إلا العالم، العالم بالله، الذي يعلم عن الله جَلَّوَعَلَا مراده، فيجيب.

لذا لن يجيب الغافل والمعرض، والذي لا يعبد الله ربًا في هذه الدنيا، ولا يتبع محمد ﷺ نبيًا في حياته، يقتدي بسنة نبيه، فهو إمامه وقدوته، لن يقول: نبيي محمد، ولعله سيقول: نبيي أبي، أو جدي، أو عاداتي، أو تقاليدي، أو هواي، أو أعرافي.

فالحذر الحذر من عدم العمل بهذه الأسئلة في الدنيا، فإنَّ هذه الأسئلة من لم يعمل بها، ولم يعرفها، ولم يدركها، ولم يطبقها، لن يجيب عنها.

فحينما تُسأل من ربك؟ من هذا المعبود الذي كنت تعبده في الدنيا؟ هل تعبد المال، تعبد الجاه، تعبد النسب، تعبد الجمال، تعبد الشهوة؟

أو تعبد الله، تستسلم لله، تطيعه وحده، ولا تشرك به شيئًا.

وكذلك ما دينك؟ الدين الذي كنت تعمل به في الدنيا ما هو؟ الشريعة التي كنت تحكمها على نفسك، وتحكمها على ذريتك، وتحكمها على من تعول، وعلى ما أنت مسؤولٌ عنهم يوم القيامة، ما هي؟ الإسلام؟ أم شريعة الآباء والأجداد؟!

وهذه مسائل ينبغي أن نتعلمها، ونتعرف عليها، فهي الأصول الثلاثة، التي بني عليها دين الإسلام:

- من ربك؟
- من نبيك؟
- ما دينك؟

هذه الأسئلة ينبغي: أن يعلمها الطفل أول ما يبدأ بالإدراك والتمييز، ينبغي أن يُعلم: أنَّ ربه الله، ونبيه محمد ﷺ، ودينه الإسلام.

واليوم أول ما يشب الطفل، يعلم أنَّه من قبيلة كذا، وبلد كذا، أنت فلاني، أنت علاني، نحن نشجع كذا، حتى ترى الطفل الصغير يضبط اسم ناديه، واسم العشيرة، والقبيلة، ولا يعرف لا ربًا، ولا دينًا، ولا نبيًا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذه الأسئلة التي سُيسأل عنها العبد في قبره، وسينبني على الإجابة عنها: إمَّا أن يقال: صدق عبدي، فافتحوا له بابًا من الجنة، وافرشوا له فراشًا من الجنة.

وإمَّا أن يقال: لا دريت، ولا تليت، كذب، افتحوا له بابًا من النار، نسأل الله السلامة والعافية.

المسألة الثانية: مسألة الحوض.

وقد دل عليها قول الناظم:

......وَلَا الْـحَـــوْضَ......

من المسائل العَقَدية التي وقع فيها خلاف: بين أهل السُّنة والجماعة، ومخالفيهم؛ مسألة: الحوض.

فأهل السُّنة والجماعة: يثبتون حوض النبي ﷺ الذي يُسقى منه المؤمنون يوم القيامة، خلافًا للخوارج والمعتزلة الذين أنكروا الحوض.

وإنَّما أنكره الخوارج والمعتزلة: لمخالفته للعقل في زعمهم؛ لأنَّهم يصدرون عن أصل فاسد في باب السمعيات والخبريات التي لا تقبل العقل.

فهم يؤولونها جميعًا، ومنها الحوض والميزان، والصراط؛ فأوَّلوا الحوض الوارد في النصوص إلى الخير الكثير.

أدلة الحوض:

أدلة إثبات الحوض متواترة؛ ففي السُّنة أكثر من ثلاثين حديثًا، منها عشرون حديثًا في الصحيحين.

وأوصاف هذا الحوض: كما جاءت في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين[١]؛ قال النبي ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ،

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَن شَرِبَ منه فلا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا».

ومن المسائل العَقَدية المتعلقة به: أنَّه موجود الآن، ومخلوق الآن؛ لحديث عقبة في الصحيحين[(١)]، قال ﷺ: «وإنِّي لَأَنْظُرُ إلى حَوْضِي الآنَ».

مسألة: هل الحوض هو الكوثر أو لا؟

وقع خلاف عند أهل السُّنة والجماعة: **هل الحوض هو الكوثر أو لا؟**

فمن العلماء من أهل السُّنة: من جعلهما شيئًا واحدًا، ومنهم من جعل الكوثر نهراً يصب في الحوض.

استدلالًا:

بقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكَوْثَر: ١].

وعند أحمد من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال: «الكَوْثَرُ نَهَرٌ أَعْطَانِيهِ الله عَزَّوَجَلَّ فِي الجَنَّةِ، تُرَابُهُ المِسْكُ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، تَرِدُهُ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا مِثْلُ أَعْنَاقِ الجُزُرِ، أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا»[(٢)].

ثمرة إثبات الحوض:

إنَّ من أعظم ثمار إثبات الحوض -الذي هو عقيدة نعتقدها ونؤمن بها-: أن يظهر أثرها على قلوبنا وأعمالنا، فنجتهد أشد الاجتهاد في إصلاح الظاهر والباطن، والاستقامة على طريقة رسول الله ﷺ حتى نرد عليه الحوض.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٢٣٦)، وحسن الألباني في المشكاة (٣/٢٢٥).

فالحوض فيه من الجمال، وفيه من الطمأنينة لصاحب السنة؛ لما يرى نفسه يرد على الحوض، فيشرب منه شربة لا يظمأ بعدها.

وذلك في أرض المحشر في وقت أشد ما يكون الناس حاجة فيه إلى الشرب؛ لذلك لا بد أن يحرص الواحد منا على اقتفاء سنة النبي ﷺ حتى يرد عليه الحوض.

المسألة الثالثة: الميزان:

وقد دل عليها قول الناظم:

......وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ......

أهل السنة والجماعة يثبتون وجود ميزان حقيقي، له كفتان، ينصب يوم القيامة، تُوزن فيه أعمال العباد والعباد.

وقد أنكر المعتزلة الميزان؛ لأصل فاسد عندهم، وهو أنَّ الأعراض -الأعمال- يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها.

أدلة إثبات الميزان:

الميزان حق ثابت في الكتاب والسنة، وقد كثرت النصوص التي أثبتته؛ **منها:**

١. قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

٢. وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٦].

٣. وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٨ - ٩].

٤. ومن أدلته: حديث أبي مالِكٍ الأشعَريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنَّ رَسولَ ﷺ قال: «الطُّهورُ شَطرُ الإيمانِ، والحَمدُ للهِ تَملأَ الميزانَ»(١).

وأمَّا أهل البدع والضلال فيؤولون هذه النصوص، فيقولون: الميزان ليس ميزانـًا حقيقيًّا؛ وإنما هو العدل.

وقد اختَلف العلماء في الذي يُوزن: هل هو العمل، أو العامل أو صحائف الأعمال؟

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ: «الذي يُوزَنُ العَمَلُ...وقيلَ: صَحائِفُ العَمَلِ؛ لحَديثِ صاحِبِ البِطاقةِ.

وقيلَ: العامِلُ نَفسُه؛ لحَديثِ أبي هُريرةَ -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ- أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إنَّه ليَأتي الرَّجُلُ العَظيمُ السَّمينُ يَومَ القيامةِ لا يَزِنُ عِندَ اللهِ جَناحَ بَعُوضةٍ.

وقال اقرَؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [الكَهف: ١٠٥]»؛ مُتَّفَقٌ عليه.

وجَمعَ بَعضُ العُلَماءِ بينَ هذه النُّصوصِ: بأنَّ الجَميعَ يُوزَنُ أو أنَّ الوَزنَ حَقيقةٌ للصَّحائِفِ، وحَيثُ إنَّها تَثقُلُ وتَخِفُّ بحَسَبِ الأعمالِ المَكتوبةِ، صارَ الوَزنُ: كأنَّه للأعمالِ.

وأمَّا وزنُ صاحِبِ العَمَلِ: فالمُرادُ به قَدرُه وحُرمَتُه، وهذا جَمعٌ حَسَنٌ، واللهُ أعلَمُ»(٢).

ومن الأدلة على أنَّ الذي يُوزن العَمل والعامل والصحائف:

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).
(٢) انظر: شرح لمعة الاعتقاد (١٢١).

١. حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الصحيحين[(١)]: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ علَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ».

وهذا الحديث يدل على أنَّ الذي يُوزن: هو العمل.

٢. حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند الترمذي[(٢)] بسندٍ صحيح، وهو حديث البطاقة؛ وفيه: «فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ».

وهذا دليل على أنَّ الوزن يكون: للسجلات.

٣. حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الصحيحين[(٣)]، قال ﷺ: «إِنَّه لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَومَ القِيامَةِ، لا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَؤُوا: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] ».

وهو دليل على أنَّ: العامل يوزن.

٤. حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند أحمد[(٤)]: «أنَّ عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ انْكَشَفَتْ ساقُه، وكانت دقيقةً هزيلةً، فضَحِكَ منها بعضُ الحاضِرينَ.

فقال ﷺ: مِمَّ تَضْحَكُونَ؟

قَالُوا: يَا نَبِيَّ الله؛ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ.

فقال رسول الله ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ».

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وصححه الألباني.
(٣) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).
(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤٢٠/١).

❁ **ثمرة إثبات الميزان:**

إنَّ اعتقاد العبد بوجود ميزان يوم القيامة؛ ينبغي أن يحمله على أن يعد العدة لذلك اليوم.

فالأعمال ستوزن، فلا تحتقر عملًا صغيرًا لا تلقي له بالًا، فقد يكون سببًا فيه هلاكك يوم القيامة، فالميزان: نثبته، ونؤمن به، ونعمل له.

فهذه المسائل لا نتعلمها للرد على المخالفين فحسب؛ بل من أجل العمل بها، فالعبد إذا تيقن واعتقد اعتقادًا جازمًا: أنَّ الحسنات والسيئات ستوزن في ميزانٍ لا يَعْرف التطفيف، ميزان تبين فيه الذرة.

وفي يوم تَشِيب فيه مفارق الولدان، في يوم يتمنى الإنسان حسنة واحدة، فالله الله في تَثقيل الموازين يوم القيامة، والحرص على كل عمل نثقل به الموازين.

❁ ❁ ❁

مصير عصاة المؤمنين

مصير عصاة المؤمنين

قال الناظم ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقُلْ: يُخْرِجُ اللهُ الْعَظِيـــمُ بِفَضْـــلِهِ ... مِنَ النَّارِ أَجْسَـــادًا مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ

عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِـــرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ ... كَحَبِّ حَمِيـــلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

* * *

يتحدث الناظم في هذين البيتين عن مصير عصاة المؤمنين.

ومذهب أهل السنة والجماعة: أنَّ عصاة المؤمنين الذين لم يشركوا بالله: كالسارق والزاني، يدخلون تحت مشيئة الله جَلَّوَعَلَا يوم القيامة؛ فإن شاء عذبهم، وإن عذبهم فإنهم: لا يخلدون في نار جهنم؛ **وهذا معنى قول الناظم:**

وَقُلْ: يُخْرِجُ اللهُ الْعَظِيـــمُ بِفَضْـــلِهِ ... مِنَ النَّارِ أَجْسَـــادًا مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ

أي: أجساد عصاة المؤمنين.

۞ أدلة أهل السنة والجماعة على عدم خلود عصاة المؤمنين في النار:

تظافرت نصوص الكتاب والسنة على أنَّ عصاة المؤمنين داخلون تحت المشيئة، وأنَّهم لا يخلدون في النار؛ **منها:**

١. قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

فدلت الآية على أنَّ كل ذنب يقترفه العبد في هذه الدنيا، ما لم يكن شركًا، فإنَّه: يدخل تحت المشيئة.

٢. والدليل من السُّنَّة على حكم عصاة المؤمنين: حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أمَّا أهلُ النَّارِ الَّذينَ هم أهلُها، فإنَّهم: لا يَمُوتُونَ فيها ولا يَحيَونَ، ولَكِنْ ناسٌ أصابَتْهمُ النَّارُ بذُنُوبِهم -أو قال: بخَطاياهم- فأماتَهم إماتةً، حَتَّى إذا كانُوا فَحمًا أُذِنَ بالشَّفاعةِ، فجيءَ بهم ضَبائِرَ ضَبائِرَ، فبُثُّوا على أنهارِ الجَنَّةِ، ثُمَّ قيلَ: يا أهلَ الجَنَّةِ أفيضُوا عليهم، فيَنبُتونَ نَباتَ الحِبَّةِ تَكُونُ في حَميلِ السَّيلِ»[1].

أي: كانوا في جهنم فتفحموا في جهنم، فأخرجهم رب جَلَّوَعَلَا برحمته، ثم يأمر بأن يفيضوا عليهم الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل.

وهؤلاء يسمون الجهنميين؛ كما جاء في حديث عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال:«يَخرُجُ قَومٌ مِنَ النَّارِ بشَفاعةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فيَدخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّونَ الجَهَنَّمِيِّينَ»[2].

❁ **الطوائف التي خالفت أهل السنة في حكم عصاة المؤمنين.**

أوَّلًا: الخوارج.

يرى الخوارج: أنَّ عصاة المؤمنين كفار خالدون في النار، ولا يدخلون تحت المشيئة، ولا تتناولهم نصوص الوعد والرحمة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٦٦).

وقد استدلَّ الخَوارج على ما اعتقدوه مِن كفر مرتكب الذُّنوبِ:

١. بعموم النصوص التي توعدت العصاة بالنار؛ منها:

قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ [الليل: ١٤ – ١٦].

٢. وبالأدلة التي تنفي الإيمان عن أصحاب الذنوب:

كحديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يزني الزَّاني حينَ يزني وهو مُؤمِنٌ، ولا يَشرَبُ الخَمرَ حينَ يَشرَبُ وهو مُؤمِنٌ، ولا يَسرِقُ حينَ يَسرِقُ وهو مُؤمِنٌ، ولا يَنتَهِبُ نُهبةً يرفَعُ النَّاسُ إليه فيها أبصارَهم وهو مُؤمِنٌ»(١).

٣. وبالأدلة التي وصفت بعض الذنوب بالكفر:

كحديث عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «سِبابُ المُسلِمِ فُسوقٌ، وقِتالُه كُفرٌ»(٢).

ويجاب عن استدلالتهم -فضلًا عما تقدم ذكره من أدلة أهل السنة-:

- بأنَّ توعد العصاة بالنار: لا يعني خلودهم فيها، كما أنَّ الموصوف في الآية الأولى ليس فاسقًا؛ بل هو كافر؛ بدليل تكذيبه وتوليه.

وأمَّا حديث نفي الإيمان عن أصحاب الذنوب: فإنَّ ذلك حال مواقعته للذنب؛ بدليل رواية أبي داود للحديث ولفظه: «إذا زنى الرَّجُلُ خَرَج منه الإيمانُ كان عليه كالظُّلَّةِ، فإذا انقلع رَجَع إليه الإيمانُ»(٣)؛ أو هو نفي كمال الواجب عنه.

(١) أخرجه البخاري (٦٧٧٢)، ومسلم (٥٧).
(٢) أخرجه البخاري (٤٨)، ومُسلِم (٦٤).
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٩٠) وصححه ابن حجر والألباني.

وأمَّا أدلة وصف بعض الذنوب بالكفر؛ فهو كفر أصغر، أو كفر نعمة، أو هو للمستحل، أو هو كفعل الكفار.

وكما أنَّ الشرع رتب على تلك الكبائر حدودًا وكفارات، وهذا لا يكون في حق الكافر.

وكل هذه الأجوبة تضعف الاستدلال بأمثال هذه النصوص على تكفير العصاة.

ثانيًا: المعتزلة.

ذهب المعتزلة إلى أنَّ مرتكب الكبيرة: فاسق في منزلة بين منزلتي الإيمان والكفر في الدنيا؛ فليس مؤمنًا ولا كافرًا، وأمَّا في الآخرة: فهو كافر من حيث المصير.

وثمرة هذا التفريق بين حكم عصاة المؤمنين في الدنيا والآخرة:

- أنَّ العاصي عندهم في الدنيا:

١. لا يعطى حكم المؤمن من حيث التزكية والثقة والولاية.

٢. ولا يعطى حكم الكافر في المعاملة، فلا يُمنع من حقوق المسلمين، ولا يعامل: كالكفار في الدم، والمال، والزواج، والدفن.

- وأمَّا في الآخرة:

هم يعتقدون: أنَّ من مات على الكبائر بلا توبة، فهو خالد في النار: كالكافر تمامًا من جهة المصير، مع أنَّه ليس كافرًا من جهة الاسم في الدنيا.

ذلك لأنَّ الناس في الآخرة فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير؛ ولكن يكون عذابُه أقَلَّ من عذاب الكافر.

وقد استدل المعتزلة:

- بأدلة الوعيد العامة: كالخوارج تمامًا؛ **ومنها:**

قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [الزُّخرُف : ٧٤]؛ فالمجرم: اسمٌ يتناول الكافر والفاسق جميعًا.

- وقد استدلوا بأدلة عقلية باطلة؛ **منها:**

أنَّ الله كلَّف الإنسان، ووعده وتوعَّده، وكلُّ خُلْفٍ بالوعد أو الوعيد نوعٌ من الكذب: لا يجوز على الله.

الجواب على أدلة المعتزلة:

أمَّا قولهم: "إنَّ العاصي في منزلة بين منزلتين في الدنيا"؛ فهو قول باطل من كل وجه، فالعبد:

- إمَّا أن يكون مؤمنًا.

- وإمَّا أن يكون كافرًا.

وأمَّا استدلالهم بأدلة الوعيد، فقد تقدمت الإجابة عليها في الرد على الخوراج؛ وأمَّا قولهم: "أنَّ خلف الوعد أو الوعيد نوع كذب لا يجوز على الله"؛ **فيجاب عنه بما يلي:**

- **التفريق بين الوعد والوعيد:**

أهل السنة يفرقون بين الوعد والوعيد، فيرون: **أنَّ خُلْفَ الوعد**: لا يجوز على الله تعالى؛ لأنَّه نقص وذم ينزه الله عنه، فلا يجوز عدم إنفاذ الوعد: من الرحمة، والجنة، ونحو ذلك.

وأمَّا خلف الوعيد: وهو عدم إنفاذ العقوبة لمن توعده الله بها؛ فهو من باب الفضل والكرم، وليس من باب الكذب أو النقص.

فهو صفة مدح وكمال؛ إذ هو إسقاط لحقه تعالى، وعند البشر من أسقط حقه، فإنَّه: يمدح، والله جَلَّوَعَلَا أولى بذلك سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

- **الوعيد مشروط وليس مطلقًا**:

بيّن أهل السنة والجماعة: أنَّ نصوص الوعيد في القرآن والسنة ليست مطلقة، بل هي مشروطة بعدم التوبة، وعدم وجود حسنات تمحو السيئات، وعدم مشيئة الله بالمغفرة.

قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

فلو تاب العاصي أو غفر الله له أو كفرت حسناته سيئاته: فلا يلزم وقوع الوعيد، ولا يكون في ذلك خُلْف ولا كذب[١].

- **خَلْفُ الوعيد ليس كذبًا**:

إنَّ المعتزلة بنوا قولهم هذا على أصل عقلي باطل: وهو أنَّ كل خلف في الوعيد كذب، وهذا باطل؛ لأنَّ إسقاط العقوبة تفضل، وليس كذبًا.

كما أنَّ العفو عن العقوبة: لا ينافي العدل ولا الصدق، بل هو من كمال الفضل والرحمة.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢٧١).

الشفاعة وعذاب القبر

الشفاعة وعذاب القبر

قال الناظم بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَإِنَّ رَسُـــولَ اللهِ لِلْخَلْقِ شَافِـــعٌ وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَـــبْرِ: حَقٌّ مُوَضَّحُ

***

۞ الشفاعة:

المسألة التي يتحدث عنها الناظم هنا: الشفاعة، ويتحدث الناظم عن مسألة عقدية مهمة ولطيفة: وهي شفاعة النبي ﷺ.

والشفاعة -باب عظيم من أبواب رحمة الله تعالى وفضله وكرمه-: **وهي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.**

وأهل السنة والجماعة: يثبتون الشفاعة المثبتة بالكتاب والسنة، وينفون الشفاعة المنفية في الكتاب والسنة.

۞ صور شفاعة النبي ﷺ:

الشفاعات كثيرة يوم القيامة، فالمؤمنون يشفعون، والملائكة تشفع، والنبيون يشفعون، وبعض المؤمنين: كالشهيد يشفعون، والصديق يشفع في صديقه يوم القيامة.

ومن أعظم الشفاعات: شفاعة النبي ﷺ، وليست شفاعة واحدة؛ بل هي شفاعات تدل على عظيم قدره، وعلو منزلته ﷺ.

الشفاعة الأولى: **الشفاعة العظمى**.

وهي التي تكون في المحشر لأهل الموقف جميعهم.

ودليلها: حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الطويل -ونسوقه بتمامه لما فيه من الفوائد- قال: «أُتِيَ رَسولُ الله ﷺ يومًا بلَحمٍ، فرُفِعَ إليه الذِّراعُ وكانت تُعجِبُه، فنَهَسَ منها نَهسةً.

فقال: أنا سَيِّدُ النَّاسِ يومَ القيامةِ، وهَل تَدرونَ بمَ ذاك؟ يجمَعُ اللهُ يومَ القيامةِ الأوَّلينَ والآخِرينَ في صَعيدٍ واحِدٍ، فيُسمِعُهمُ الدَّاعي، ويَنفُذُهمُ البَصَرُ، وتَدنو الشَّمسُ فيَبلُغُ النَّاسَ من الغَمِّ والكَربِ ما لا يُطيقونَ وما لا يَحتَمِلونَ.

فيَقولُ بَعضُ النَّاسِ لبَعضٍ: ألا تَرَونَ ما أنتم فيه، ألا تَرَونَ ما قد بَلَغَكم، ألَا تَنظُرونَ مَن يَشفَعُ لَكم إلى رَبِّكم؟

فيَقولُ بَعضُ النَّاسِ لبَعضٍ: ائتُوا آدَمَ، فيَأتون آدَمَ فيَقولونَ: يا آدَمُ أنتَ أبو البَشَرِ، خَلقَك اللهُ بيدِه ونَفَخَ فيك من رُوحِه وأمرَ المَلائِكةَ فسَجَدوا لَك، اشفَعْ لَنا إلى رَبِّك، ألا تَرى ما نَحنُ فيه، ألا تَرى ما قد بَلَغَنا؟

فيَقولُ آدَمُ: إنَّ رَبي غَضِبَ اليَومَ غَضبًا لم يَغضَبْ قَبْلَه مِثلَه، ولَن يَغضَبَ بَعدَه مِثلَه، وإنَّه نَهاني عن الشَّجَرةِ فعَصَيتُه، نَفسي نَفسي، اذهَبوا إلى غَيري، اذهَبوا إلى نوحٍ.

فيَأتون نوحًا عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ فيَقولونَ: يا نوحُ، أنتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إلى الأرضِ وسَمَّاك اللهُ عَبدًا شَكُورًا، اشفَعْ لَنا إلى رَبِّكَ، ألَا تَرى ما نَحنُ فيه، ألا تَرى ما قد بَلَغَنا؟

فيَقولُ لهم: إنَّ رَبي قد غَضِبَ اليَومَ غَضبًا لَم يَغضَبْ قَبلَه مِثلَه، ولَن يَغضَبَ بَعدَه مِثلَه، وإنَّه قد كانت دَعوةٌ دَعَوتُ بها على قَومي، نَفسي نَفسي، اذهَبوا إلى إبراهيمَ ﷺ.

فيَأتون إبراهيمَ فيَقولونَ: أنتَ نَبيُّ اللهِ وخَليلُه من أهلِ الأرضِ، اشفَعْ لَنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرى ما نَحنُ فيه، ألا تَرى إلى ما قد بَلَغنا؟

فيَقولُ لهم إبراهيمُ ﷺ: إنَّ رَبي قد غَضِبَ اليَومَ غَضبًا لَم يَغضَب قَبلَه مِثلَه، ولَن يَغضَبَ بَعدَه مِثلَه، وذَكَرَ كَذَباتِه، نَفسي نَفسي، اذهَبوا إلى غَيري، اذهَبوا إلى موسى.

فيَأتون موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فيَقولونَ: يا موسى، أنتَ رَسولُ اللهِ، فضَّلَك اللهُ برِسالاتِه وبِتكليمِه على النَّاسِ، اشفَعْ لَنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرى ما نَحنُ فيه، ألا تَرى ما قد بَلَغَنا؟

فيَقولُ لهم موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: إنَّ رَبي قد غَضِبَ اليَومَ غَضبًا لَم يَغضَب قَبلَه مِثلَه، ولَن يَغضَبَ بَعدَه مِثلَه، وإنِّي قَتَلتُ نَفَسًا لَم أؤمَرْ بقَتلِها، نَفسي نَفسي، اذهَبوا إلى عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

فيَأتون عيسى فيَقولونَ: يا عيسى، أنتَ رَسولُ اللهِ وكَلَّمْتَ النَّاسَ في المَهدِ، وكَلِمةٌ منه ألقاها إلى مَريَمَ وُروحٌ منه، فاشفَع لَنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرى ما نَحنُ فيه، ألا تَرى ما قد بَلَغنا؟

فيَقولُ لهم عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: إنَّ رَبي قد غَضِبَ اليَومَ غَضبًا لَم يَغضَبْ قَبلَه مِثلَه ولَن يَغضَبَ بَعدَه مِثلَه، ولَم يَذكُرْ له ذَنبًا، نَفسي نَفسي، اذهَبوا إلى غَيري، اذهَبوا إلى مُحَمَّدٍ ﷺ.

فيَأتوني فيَقولونَ: يا مُحَمَّدُ، أنتَ رَسولُ اللهِ وخاتَمُ الأنبياءِ، وغَفرَ اللهُ لَك ما تَقَدَّمَ من ذَنبِك وما تَأخَّرَ، اشفَعْ لَنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرى ما نَحنُ فيه، ألا تَرى إلى ما قد بَلَغَنا؟

فأنطَلِقُ فآتي تَحتَ العَرْش فأقَعُ ساجِدًا لرَبي، ثُمَّ يَفتَحُ اللهُ عليَّ ويُلهِمُني من مَحامِدِه وحُسنِ الثَّناءِ عليه شَيئًا لَم يَفتَحْه لأحَدٍ قَبلي.

ثُمَّ قال: يا مُحَمَّدُ، ارفَعْ رَأسَك، سَلْ تُعطَه، اشفَعْ تُشَفَّعْ، فأرفَعُ رَأسي فأقولُ: يا رَبِّ أُمَّتي أُمَّتي.

فيُقالُ: يا مُحَمَّدُ، أدخِلِ الجَنَّةَ من أمَّتِك من لا حِسابَ عليه من البابِ الأيمَنِ من أبوابِ الجَنَّةِ، وهم شُركاءُ النَّاسِ فيما سِوى ذلك من الأبوابِ.

والذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بيدِه إنَّ ما بينَ المِصراعينِ من مَصاريعِ الجَنَّةِ: لَكَمَا بينَ مَكَّةَ وهَجَرٍ، أو كما بينَ مَكَّةَ وبُصْرى»[١] .

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «إنَّ النَّاسَ يَصيرونَ يَومَ القيامةِ جُثًا، كُلُّ أمَّةٍ تَتبَعُ نَبيَّها، يَقولونَ: يا فُلانُ اشفَعْ، حَتَّى تَنتَهيَ الشَّفاعةُ إلى النَّبيِّ ﷺ، فذلك يَومُ يَبعَثُه اللهُ المَقامَ المَحمودَ»[٢].

الشفاعة الثانية: شفاعته في استفتاح باب الجنة.

بعد أن يُحاسَب الخلق، ويقطعون الصراط والقنطرة، يقفون بباب الجنة، وأول من يفتح له باب الجنة: هو نبينا محمد ﷺ؛ كما جاء عند مسلم في صحيحه من حديث أنس عن النبي ﷺ أنَّه قال: «آتي بابَ الجَنَّةِ يَومَ القيامةِ فأستَفتِحُ، فيَقولُ الخازِنُ: من

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠) مختصرًا، ومسلم (١٩٤) واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٨).

أنتَ؟ فأقولُ: مُحَمَّدٌ، فيَقولُ: بك أُمِرْتُ لا أفتَحُ لأحَدٍ قَبلَك»(١).

وأخرج مسلمٌ أيضًا عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسولُ الله ﷺ: «أنا أكثَرُ الأنبياءِ تَبَعًا يَومَ القيامةِ، وأنا أوَّلُ مَن يَقرَعُ بابَ الجَنَّةِ»(٢).

الشفاعة الثالثة: الشفاعة في تخفيف العذاب عن بعض الناس.

يشفع النبي ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب الذي مات مشركًا؛ **والدليل على هذه الشفاعة:**

١. حديث العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين أَنَّهُ قال: « يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟

قَالَ: نَعَمْ؛ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا، لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»(٣).

٢. وكذلك حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ»(٤).

قد أجمع أهل السنة: على أنَّ الكافر لا تنفعه أعماله الحسنة، وشفاعة الشافعين نفعًا يخلصه من النار(٥).

وقد وقع خلاف بين العلماء، خلاصته: **هل هذه الشفاعة خاصَّة بأبي طالب؟ أو هي عامَّة في من هو مثله؟**

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧).
(٢) أخرجه مسلم (١٩٦).
(٣) أخرجه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩).
(٤) أخرجه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩).
(٥) انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (١/ ٥٩٧) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ١٥٥).

الصحيح: أنَّ هذه الشفاعة خاصة بأبي طالب دون غيره من المشركين؛ للحديث السابق الدال على قبول شفاعة النَّبي ﷺ فيه.

وليست شفاعة في إخراجه من النار، بل هي شفاعة في التخفيف فقط.

وعلى هذا تكون هذه الشفاعة من شفاعات النبي ﷺ وحده؛ وقد عدَّها جمع من خصائصه ﷺ(١).

الشفاعة الرابعة: الشفاعة في أهل الكبائر.

هذه الشفاعة ليست خاصة به ﷺ؛ وقد دل عليها:

حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»(٢).

فمع أنَّهم: أصحاب معاصٍ وأصحاب ذنوب، إلا أنَّ النبي ﷺ يشفع فيهم، وهذا مصداق قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

شبهة: هل زيارة قبر النبي ﷺ سبب في الحصول على الشفاعة؟

يتردد على ألسنة بعض الناس: أنَّ زيارة قبر النبي ﷺ سبب في وجوب شفاعته والحصول عليها.

ويستدلون بحديث: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

وهذا اعتقاد باطل؛ لأنَّ الأحديث المروية في ذلك باطلة؛ فكل حديث في أنَّ زيارة القبر سبب لشفاعته: باطل.

(١) انظر: إكمال المعلم (٨/ ٣٤١)، فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٣١).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٩) والترمذي (٢٤٣٥) وصححه الألباني.

شروط الشفاعة:

إنَّ للشفاعة شروطًا؛ فلا تحصل يوم القيامة إلا **بشرطين:**

الشرط الأول: إذن الله للشافع.

فلا بد أن يأذن لله بالشفاعة، كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَةِ: ٢٥٥].

ولذلك الذي يذهب إلى قبر الولي فلان، فيطلب من الشفاعة يقال له: **من أخبرك بأنَّ الله أذن لهذا المقبور بالشفاعة؟!**

الشرط الثاني: رضا الله عن المشفوع له.

فحتى تحصل الشفاعة: لا بد من أن يرضى الله عن الذي شُفع له؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النَّجم: ٢٦].

الطوائف التي أنكرت الشفاعة:

أنكر الخوارج والمعتزلة الشفاعة؛ لأنَّ صاحب الذنب عندهم خالد في النار لا يخرج منها، والشفاعة تكون: لإخراج أقوام من النار أو تخفيف العذاب عنهم.

ويستدل الخوارج والمعتزلة:

١. بقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [الزُّمَر: ١٩].

٢. وبقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المُدَّثِّر: ٤٨].

الجواب عن هذه الأدلة:

أنَّ الشفاعة التي لا تنفع: هي إخراج الخالد في النار منها.

أمَّا التخفيف: فهذه ليست مقصودة في الآية.

وأمَّا غير المشرك والكافر فيدل على انتفاعه بالشفاعة ما سبق ذكره من أدلة أهل السنة في عدم خلود أصحاب الذنوب في النار: كقول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

❁ **عذاب القبر:**

أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات عذاب القبر(١)، **وأدلة ذلك كثيرة؛ منها:**

١. قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المُؤمِنُون: ١٠٠].

٢. قوله جَلَّوَعَلَا عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غَافِر: ٤٦].

هذه النار التي يعرض عليها آل فرعون في الغدو والعشي ليست نار الآخرة؛ لأنَّ الآخرة لا يوجد فيها غدو وعشي.

ويدل على هذا أنَّه قال: ﴿يَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

٣. وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التَّوبَة: ١٠١].

---

(١) نقل الإجماع أبو الحسن الأشعري في: رسالة إلى أهل الثغر (١٥٩) وابن تيمية في: المجموع ((٣/ ٢٨٢) وابن أبي العز الحنفي في: شرح الطحاوية (١٥٩).

قال الحسن البصري وقتادة وابن جُرَيج في قول الله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾: «عذاب الدُّنيا، وعذاب القبر»[(١)].

٤. وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

قال ابن جرير بعد ذكر الأقوال في الآيةِ: «أَولَى الأقوالِ في ذلك بالصَّوابِ قَولُ مَن قال: هو عَذابُ القَبرِ... إنَّ اللهَ تَبارك وتعالى أتبَعَ ذلك بقَولِه: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٧]»[(٢)].

٥. وأمَّا من السنة فقد تواترت الأحاديث في إثبات عذاب القبر؛ **منها:**

- حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: «دَخلَتْ عليَّ عَجُوزانِ من عُجُزِ يَهودِ المَدينةِ، فقالَتا: إنَّ أهْلَ القُبورِ يُعَذَّبونَ في قُبورِهم، قالت: فكَذَّبْتُهما، ولَم أنعَمْ أنْ أُصَدِّقَهما، فخَرَجتا.

ودَخلَ رَسولُ اللهِ ﷺ، فقُلتُ لَه: يا رَسولَ اللهِ إنَّ عَجُوزينِ من عُجُزِ يَهودِ المَدينةِ دَخلَتا عليَّ، فزَعَمَتا أنَّ أهلَ القُبورِ يُعذَّبونَ في قُبورِهم، فقال: صَدَقَتا، إنَّهم يُعذَّبونَ عَذابًا تَسمَعُه البَهائِمُ.

قالت: فما رأيتُه بَعدُ في صَلاةٍ إلَّا يَتعَوَّذُ من عَذابِ القَبرِ»[(٣)].

- حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا هَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ، كَمَا تُعَلَّمُ الكِتَابَةُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١/ ٦٤٦).
(٢) تفسير الطبري(١٦/ ١٩٨-٢٠٠).
(٣) أخرجه البخاري (٦٣٦٦)، ومسلم (٥٨٦).

مِنْ أَنْ نُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ القَبْرِ»[(١)].

وعجبي لا ينتهي ممن يستحب هذا الدعاء: وهو لا يؤمن بما فيه!، فيستعيذ بالله من شيء لا يثبته!.

تنبيه:

الخلاف في إثبات عذاب القبر على الروح والبدن -كما هو مذهب عامة أهل العلم- تمامًا: كالخلاف الذي سبق ذكره في وقوع فتنة القبر على الروح والبدن فلتنظر في موضعها[(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (٦٣٩٠).
(٢) وقد مرت معنا في صفحة: (١٦٣-١٦٥).

حكم مرتكب الكبيرة

حكم مرتكب الكبيرة

قال الناظم ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلاَ تُكْفِرَنْ أَهْـــلَ الصَّلاَةِ وَإِنْ عَصَوْا فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وَذُو الْعَــــرْشِ يَصْفَحُ

***

يتحدث الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مسألة عقدية مهمة جدًا، وهي **مسألة**: **تكفير مرتكب الكبيرة**؛ فنقول:

أولًا: إذا كانت الكبيرة شركًا أو كفرًا، فمرتكبها كافر اتفاقًا، كما قال النبي ﷺ في حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ»[١].

ثانيًا: يصف أهل السنة والجماعة مرتكب الكبيرة بأنَّه: **مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته وعصيانه**، ففعل الكبيرة ينقص الإيمان الواجب، ولكن لا يزيله بالكلية.

فشارب الخمر، أو الزاني، أو صاحب الغيبة، أو النمام، أو آكل الربا، مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، فليس كافرًا، ولكنه مستحق للعذاب، وداخل تحت المشيئة، ولكن بقيد ألا يستحل، فيقول: مثلا الزنا حلال.

فإن استحل أمرًا مجمعًا على تحريمه، بلا شبهة تأويل ولا جهل؛ فهذا: كافر اتفاقًا؛ نقله: ابن قدامة، وابن تيمية، وابن أبي العز[٢].

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ورواه مسلم من حديث أبي بكرة (٨٧).
(٢) انظر: الصارم المسلول (٥٢١)، وشرح الطحاوية (٣٥٥ - ٣٦٢).

قال القاضي عياض: «أَجْمَعَ الْمُسْلِمُون عَلَى تَكْفِير كُلّ: مِن اسْتَحَلّ القَتْل، أَو شُرْب الخَمْر، أو الزّنا، مِمَّا حَرّم الله بَعْد عِلْمِه بِتَحْرِيمِه»(١).

وقد قال ابن قدامة المقدسي: «ومَن اعْتَقَدَ حِلَّ شَيْءٍ أُجْمِعَ على تَحْرِيمِهِ، وظهَرَ حُكْمُه بين المسلمين، وزالتِ الشُّبْهَةُ فيه، للنُّصوصِ الواردَةِ فيه: كلَحْمِ الخِنْزِيرِ، والزِّنَا، وأشْباهِ هذا، مِمَّا لا خلافَ فيه، كَفَرَ»(٢).

وأدلة أهل السنة على هذه العقيدة في فاعل الكبيرة:

أنّ الله سمى بعضا العصاة مؤمنين؛ كما في قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحُجُرَات: ٩].

وقد رتب عليها حدودًا وكفَّارات، ولو كانت كفرًا لما رتبت عليها الحدود والكفارات.

ودليل أهل السنة على أنَّ فاعل الكبيرة: ناقص الإيمان الواجب:

أنَّ الشرع سمى بعض الذنوب كفرًا: كقوله ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فِسْقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»(٣).

كما نفى الإيمان عن بعض الكبائر؛ كما في الحديث المتقدم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن».

تنبيه: في هذا البيت إشارة من الناظم إلى كفر تارك الصلاة؛ لأنَّه قال:

وَلاَ تُكْفِرَنْ أَهْــلَ الصَّلَاةِ......

(١) الشفا (٦١١١/٢).
(٢) المغني (٢٧٦/١٢).
(٣) أخرجه النسائي (٣٥٦٠) وصححه الألباني.

ومسألة حكم تارك الصلاة: مسألة خلافية بين أهل السنة والجماعة، **وفيما يلي بيان لها ومحاولة تحرير:**

أولًا: أجمع أهل العلم على أنَّ تارك الصلاة جحودًا: كافر.

وقد حكى الإجماع: الخطابي، وابن حزم، وابن عبد البر، وابن رشد الجد، والقاضي عياض، وابن الأثير، وابن قدامة، والقرطبي، والنووي، وابن تيمية، والعيني، وابن حجر الهيتمي، وغيرهم[١].

ثانيًا: اختلف أهل العلم في حكم تارك الصلاة كسلًا ونحوه على قولين:

القول الأول: أنَّه كافر مطلقًا؛ وهو مشهور مذهب الحنابلة[٢]، ووجه عند الشافعية[٣]، وقول للماكية[٤].

وقد استدل أصحاب هذا القول:

بأنَّ هذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة، والتابعين؛ وأنَّ الخلاف إنما طرأ بعد ذلك؛ أي بعد عهدهم.

فتارك الصلاة عند الصحابة والتابعين: كافر بلا تفصيل أو تفريقٍ بين الجحود أو التكاسل، وإنما كان الوصف عندهم أنَّه كافر عمومًا.

(١) انظر: معالم السنن (٤/ ٣١٤)، المحلى (٢/ ٤)، الاستذكار (٢/ ١٤٩)، إكمال المعلم (١/ ١٨١)، النهاية في غريب الأثر (٤/ ١٨٧)، تفسير القرطبي (٨/ ٧٤)، شرح مسلم للنوي (٢/ ٧٠)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/ ٣٠٨)، عمدة القاري (٢٤/ ٨١)، تحفة المحتاج إلى شرح المنهاج (٣/ ٨٣)، نيل الأوطار (١/ ٣٦١).

(٢) الإنصاف (٤٠٥/٠١) وقال النووي في المجموع (١٦/٣) : «في مذاهبِ العلماءِ فيمَن ترَك الصلاة تكاسلًا مع اعتقادِه وجوبَها... قالت طائفةٌ: يَكْفُر ويُجرَى عليه أحكام المرتدِّين في كلِّ شيء، وهو مرويٌّ عن عليٍّ بن أبي طالب، وبه قال ابنُ المبارك، وإسحاقُ بن راهويه، وهو أصحُّ الرِّوايتين عن أحمد».

(٣) انظر: المجموع (١٦/٣)، مختصر اختلاف العلماء (٣٩٣/٤).

(٤) انظر: حاشية العدوي (١٠٢/١)، مختصر اختلاف العلماء (٣٩٣/٤).

وأول من فرَّق في حكم تارك الصلاة بين الجحود والتكاسل -فيما أعلم-: هو الإمام محمد بن شهاب الزهري؛ فله كلام يفهم منه التفريق في حكم تارك الصلاة بين الجحود والتكاسل.

ومن الأدلة:

١. قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المُدَّثِّر: ٤٢ - ٤٣].

٢. قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مَرْيَم: ٥٩].

٣. قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الرُّوم: ٣١].

٤. حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «إنَّ بينَ الرَّجُلِ وبينَ الشِّركِ والكُفرِ تَرْكَ الصَّلاةِ»(١).

٥. حديث عبد الله بن بُريدة، عن أبيه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ العَهدَ الذي بيننا وبينهم الصَّلاةُ، فمَن تَركها فقدْ كَفَرَ»(٢).

٦. حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ستكُونُ أُمراءُ فتَعرِفُونَ وتُنْكِرُونَ، فمَن عَرَفَ بَرِئَ، ومَن أنْكَرَ سَلِمَ، ولَكِنْ مَن رَضِيَ وتابَعَ.

قالوا: أفَلا نُقاتِلُهُمْ؟

قالَ: لا، ما صَلَّوْا» (٣).

(١) رواه مسلم (٨٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٢١) وقال: «حسنٌ صحيحٌ غريب». وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم (١٨٥٤).

٨. أثر عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ؛ فعن المِسْوَرِ بنِ مَخرمةَ أنَّه: «دَخَلَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ بعد أن صلى الصُّبْحِ مِنَ اللَّيْلَةِ الَّتِي طُعِنَ فِيهَا، فَأَوقَظَ عُمَرَ فقيل له الِصَلَاةِ، الصلاة لصلاة الصبح.

فَقَالَ عُمَرُ: نَعَمْ، وَلَاحَظَّ فِي الإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى عُمَرُ، وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا»[(١)].

٩. أثر عبد الله بن شقيق قال: «لم يكن أصحاب النبي ﷺ يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر: غير الصلاة»[(٢)].

١٠. وبقول أيوب السختياني: «ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه»[(٣)].

القول الثاني: عدم كفر تارك الصلاة غير الجاحد؛ وهو قول جمهور أهل العلم: من الأحناف، والمالكية، والشافعية، والحنابلة في رواية، جعلها جمع: هي المذهب.

بل حكى جماعة من أهل العلم: الإجماع على عدم كفر تاركها؛ **ومنهم**:

١. ابن عبد البر، حيث قال عن صلاة الجمعة: «أجمعوا أنَّه من تركها وهو قادر على إتيانها ممن تجب عليه، أنَّه غير كافر بفعله ذلك، إلا أن يكون جاحدًا لها مستكبراً عنها»[(٤)].

٢. وقال النووي: «ولم يزل المسلمون يورثون تارك الصلاة، ويورثون عنه، ولو كان كافرًا لم يغفر له، ولم يرث، ولم يورث»[(٥)].

(١) أخرجه مالك في (الموطأ (٣٩/١)، وعبدالرزاق في مصنفه (٤٠٩/١) بسند على شرط الشيخين كما قال الألباني.
(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢) وصححه الألباني.
(٣) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٢٥).
(٤) الاستذكار (٢/ ٥٦).
(٥) المجموع (٣/ ١٧).

وقال ابن قدامة بعد أن رجح القول بعدم كفر تارك الصلاة: «ذلك إجماع المسلمين؛ فإنَّا لا نعلم في عصر من الأعصار عن أحد من تاركي الصلاة، ترك تغسيله والصلاة عليه»[١].

وقد استدلوا على هذا القول بعدد من الأدلة؛ منها:

١. عموم النصوص التي تدل على أنَّ غير المشرك داخل تحت المشيئة: كقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

٢. حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنْ الْعَرَبِ.

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»»[٢].

٣. حديث عتبان بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال: «فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»[٣].

٤. جريان عمل المسلمين على عدم تكفيره بغير نكير، كما تقدم نقله عند النووي وابن قدامة.

٥. أنَّ من ثبت إسلامه بيقين، لا يزول عنه إلا بيقين، وليس ثمة دليل صريح صحيح على كفر من ترك الصلاة.

---

(١) المغني (٣/٣٥٧).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٥)، ومسلم (٢٠).
(٣) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

وأمَّا أدلة أصحاب القول الأول، **فيجاب عنها**: بأنَّ لفظ الشرك أو الكفر يحمل على الكفر العملي غير المخرج من الملة.

والأظهر من قولي العلماء: هو القول الأول؛ والله أعلم.

ويحسن بنا بعد عرض الخلاف في هذه المسألة التنبيهُ على جملة من الأمور المهمة؛ **وهي**:

أوَّلًا: مسألة حكم تارك الصلاة مسألة خلافية، والخلاف فيها معتبر؛ فلا يبدع فيها المخالف ولا يضلل.

فلا يحكم على من يكفر تارك الصلاة بأنَّه خارجيٌّ تكفيريٌّ، ولا على الذي لا يكفر تارك الصلاة بأنَّه مرجئٌ جهميٌّ، ولا يعقد عليها الولاء والبراء.

وما نراه من بعض من يطرح هذه المسألة على أنَّها لا تقبل الخلاف، فيهدم القول الثاني؛ بل لعله ينكره ولا يقر بوجوده أصلًا، وكأنَّه قول مبتدع.

وهذا من قلة التأصيل وعدم حسن التصور العلمي للمسألة، وقد يكون نوع تعصب مذموم لا يليق بطالب علم؛ لذا من الأمانة العلمية والإنصاف ذكر المسألة ببيان الخلاف فيها في مقام التحرير والتأصيل.

وقد قال ابن عبدالبر: «وَاخْتَلَفُوا فِي الْمُقِرِّ بِهَا وَبِفَرْضِهَا التَّارِكِ عَمْدًا لِعَمَلِهَا وَهُوَ عَلَى الْقِيَامِ بِهَا قَادِرٌ»(١).

ثانيًا: فرقٌ بين من تبنى القول بكفر تارك الصلاة بناءً على أصول سنية سلفية، وبين من يكفر تارك الصلاة بناءً على أصول خارجية سبق بيانها.

(١) الاستذكار (٢/ ١٤٩).

وفرقٌ بين من لا يكفر تارك الصلاة منطلقًا من أصول سنية سلفية، ومستدلًّا بأدلية علمية، وبين من لا يكفره بناء على أصول بدعية: كالإرجاء.

فلذلك من الظلم أن ينسب إلى الخوارج أو إلى المرجئة مَنْ سَلِمَتْ أصوله وصحت استدلالاته، فرجح قولًا معتبرًا قال به السلف.

ثالثًا: يحسن بمن يتبنى قول الجمهور في عدم ترك الصلاة: أن يبين للناس مذهب القائلين بتكفيره.

بل وأنَّ جمعًا ممن لم يكفره، يرون أنَّه: يقتل حدًّا؛ فقد نقل ابن القاسم عن مالك قوله: «ومَنْ تَرك الصلاة قيل له: صَلِّ، فإن صَلَّى، وإلاَّ قُتِلَ؛ ومَنْ قال: لا أُصَلِّي. استُتِيبَ، فإن صَلَّى وإلاَّ قُتِلَ»[1]؛ **مع التنبيه إلى أنَّ تنفيذ هذه الحدود والأحكام ليس لكل لأحد؛ وإنَّما لولي الأمر**.

رابعًا: تارك الصلاة، فاسق من شرار الفسقة، مرتكب لكبيرة من أعظم الكبائر عند أكثر العلماء تساهلًا في حكم تارك الصلاة، وكافر عند فريق آخر.

خامسًا: ينبغي لمن تصدر للإفتاء والدعوة والإرشاد: أن يذكر النصوص الشرعية التي تصف تارك الصلاة بالكفر.

وأن يذكر هذا القول، لا أن تُطرح طرحًا ضعيفًا جدًّا؛ حتى لا يضعف تعظيم الصلاة في قلوب العباد.

ويصبحَ تركها أمرًا هيِّنًا سهلًا على النفس، بل لقد نبتت نابتة في زماننا، صارت تصف كل من يكفر تارك الصلاة بأنَّه: من الخوارج.

(١) الجامع لمسائل المدونة (٢/٤٠٣).

لذا لا بد أن نعظم قدر الصلاة في قلوبنا، فالولد منذ أن يبلغ سبع سنوات يؤمر بالصلاة، وسيحاسب والده على عدم أمره بها، فلا نتهاون ولا نتساهل في الصلاة أبدًا.

التحذير من الخوارج

و المرجئة

التحذير من الخوارج و المرجئة

قال الناظم بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلَا تَعْتَقِــــدْ رَأْيَ الخَـــوَارِجِ إِنَّهُ ... مَقَالٌ لِمَنْ يَهْــوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَـــحُ

وَلَا تَكُ مُرْجِــيًّا لَعُــوبًا بِدِينِـــهِ ... أَلَا إِنَّمَـــا الْمُرْجِيُّ بِالدِّيـــنِ يَمْزَحُ

* * *

۞ الخوراج:

يتحدث الناظم عن فرقة ضالة مبتدعة، وتكاد تكون أضر فرقة على الإسلام بعد الروافض؛ وهم الخوارج.

والخوارج: طائفة ظهرت في عهد الصحابة، خرجت على علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بعد التحكيم في وقعة صفين؛ **ومذهبهم مركب من أمرين:**

- التكفير بلا مكفر.
- وسل السيف على من كفروه.

فيكفرون العصاة ويخلدونهم في النار، ويستبيحون دماء المسلمين المعصومة، ويخرجون على أئمة المسلمين.

۞ عقيدة الخوارج في الإيمان:

الإيمان عند الخوارج: قول، وعمل، واعتقاد، ويحصرونه بفعل الواجبات

وترك المعاصي؛ فالإيمان عندهم: هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح؛ أي فعل جميع الواجبات وترك جميع المحرمات.

فالإيمان شيء واحد لا يتجزأ ولا يتبعض؛ لذلك يذهب كله بفعل ذنب واحد، فركن الإيمان عند الخوارج: هو آحاد الأعمال، فلو اختل عمل واحد لكفر العبد.

وأمَّا أهلُ السنة فيقولون: إنَّ من الأعمال ما هو أصلٌ في الإيمان، لا يصحُّ الإيمانُ دونه: كنطقِ الشهادتين، وكالأصلِ القلبيِّ من التصديقِ الجازمِ وغيره، وكالصلاةِ عند فريقٍ منهم.

ومن الأعمال ما هو واجبٌ في الإيمان، فينقصُ الإيمانُ بفواته نقصًا يستحقُّ صاحبُه العقوبةَ؛ ومن الأعمال ما هو مستحبٌّ في الإيمان، فيفوتُ بفواته علوُّ درجةِ الإيمان.

ففوات آحاد الأعمال: لا ينقض الإيمان إلا بدليل؛ مثل الصلاة عند من يكفر تاركها.

ولكن هذا الترك لآحاد العمل عندهم -أهل السنة-: ينقص الإيمان.

۞ نشأة الخوارج:

انتقلت الخلافة بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودخل في جيش علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمع من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فاشترط: معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه على عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن يسلمهم قتلة عثمان؛ فمعاوية من بني أمية وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من بني أمية، فهو من أولياء الدم.

فوقع خلاف بين الفريقين، فكان رأي: علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن تتم البيعة حتى تستتب الأمور ثم نسلم قتلة عثمان.

وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان أقرب الطائفتين للحق، فأراد الحفاظ على أمن الأمة عمومًا، والذي هو أولى من الاقتصاص من قتلة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ممن هم في جيشه.

وقد عرفوا بالعبادة والشجاعة، فلما وفق الله جَلَّوَعَلَا عليًا ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا للصلح بينهما، واتفقوا على أن يرجع معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى الشام، وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يبقى خليفة للمسلمين.

اعترضت هذه الفرقة على هذا الصلح؛ لأنَّه رضي بالتحكيم، ورضي بحكم الرجال، والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المَائِدَة: ٤٤].

فكفروا: عليًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وخرجوا عليه، وعددهم خمس آلاف مقاتل، فخرجوا على الفريقين فكفروهم واستحلوا دماءهم.

وفعلوا فيهم ما فعلوا من الأفعال الشنيعة التي يذكرها أهل السير والتاريخ والأخبار، **التي من أعظمها**:

أنَّ عبد الرحمن بن ملجم الخارجي قتل عليًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقد كان يبيت في المسجد يراقب عليًا ويتوسد سيفًا نقعه في السم مدة من الزمان.

حتى إذا جاء علي في إحدى الصلوات -وهي صلاة فجر-: طعنه فمات رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

❁ **قواعد في وسطية أهل السنة في باب التكفير:**

أولًا: أهل السنة لا يكفرون إلا من كفره الله ورسوله ﷺ، فهم وسط بين الخوارج والمرجئة.

ثانيًا: أهل السنة لا يكفرون أحدًا لمجرد ارتكاب ناقض من نواقض الإسلام، حتى تتحق الشروط وتتنفي الموانع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُكَفِّرَ أَحَدًا مِن الْمُسْلِمِينَ، وَإِن أَخْطَأَ وَغَلِطَ، حَتَّى تُقَامَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَتُبَيَّنَ لَهُ الْمَحَجَّةُ.

وَمَن ثَبَتَ إيمَانُهُ بِيَقِينٍ: لَمْ يَزُلْ ذَلِكَ عَنْهُ بِالشَّكِّ؛ بَل لَا يَزُولُ إلَّا بَعْدَ إقَامَةِ الْحُجَّةِ وَإِزَالَةِ الشُّبْهَةِ»[١].

ثالثًا: قد يفعل أحد الكفر ولا يكفر؛ فلا يلزم من فِعل الكفر كُفْرُ الفاعل: كأن يكون حديث عهد بإسلام، كما في حديث معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عندما سجد للنبي ﷺ.

رابعًا: أهل السنة يفرقون: بين تكفير المطلق، وتكفير المعين، والتي تسمى: التأصيل والتنزيل، فقد تتحدث عن تصرفات تطلق عليها أنها كفر أو شرك بالله، فتقول: من يدعو غير الله فقد أشرك.

ومن يعبد مع الله جَلَّوَعَلَا غيره: من أولياء، وقبور، وأضرحة، وغير ذلك، هذا كله شرك وكفر بالله جَلَّوَعَلَا؛ هذا يسمى تكفير مطلق.

ولكن لا يفهم من هذا أنك تكفر فلانًا بعينه، فتأصيل الحكم شيء، وتنزيله على الأعيان والأفراد شيء آخر.

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٥٠١).

وتكفير المعين: لا يكون إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة، فلا بد أن تحقق الشروط وأن ننتفي الموانع؛ **وهي**:

١. علم ينافي الجهل والتأويل.

٢. قصد ينافي الخطأ.

٣. واختيار ينافي الإكراه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التكفير المطلق: لا يستلزم تكفير المعين، إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع»[١].

خامسًا: قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، فالمسلم الذي يعيش في بيئة توحيد: هذا لا يعامل معاملة من يعيش في بيئة كلها شرك وكفر بالله جَلَّ وَعَلَا.

۞ صفات الخوارج:

لم يأت في صحيح السُّنَّة النبوية ذمٌ لفرقةٍ بعينها واسمها كما جاء في الخوارج، ففي السنة المطهرة ما يزيد على عشرين حديثًا، بسند صحيح، أو حسن في ذم الخوارج.

وهذا يدل على أنَّ لمعتقدها أثرًا سلبيًّا على أُمَّة محمد ﷺ.

ومن أوصاف الخوارج التي ورد بيانها في السنة النبوية:

الصفة الأولى: أنَّهم حدثاء الأسنان، فأعمارهم صغيرة، وصغر السن مظنة الخطأ والاندفاع والحماس؛ وقد جاء في حديث النبي ﷺ المُخرَّج في البخاري ومسسلم، قال ﷺ: «حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٨٩).

(٢) البخاري (٣٤١٥)، ومسلم (١٠٦٦).

الصفة الثانية: الطيش والسفه -من السفاهة-.

فقد قال النبي ﷺ: «سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ»(١).

وما أكثر ما تجد الشاب الصغير منهم، الذي للتو بدأ في طريق الاستقامة، ثم تراه يبدأ بتكفير المسلمين.

الصفة الثالثة: العُجب والغرور.

وقد دل على هذه الصفة -الظاهرة جدًّا في خوارج زماننا-: ما أخرجه أحمد بإسناد صحيح فقال ﷺ: «إِنَّ فيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدونَ ويَدْأَبونَ، حتى يُعْجَبَ بهِمُ النَّاسُ، وتُعْجِبَهُمْ نُفوسُهم، يَمْرُقونَ منَ الدِّينِ مُروقَ السَّهْمِ منَ الرَّمِيَّةِ»(٢).

فترى الخارجي لا يراك بعينه، ويأنف من مجالسة طلبة العلم، بل سمِّ له ما شئت من العلماء، كلهم عنده لا قيمة لهم، ويرى الواحد منهم نفسه أنَّه في رتبة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الصفة الرابعة: الاجتهاد في العبادة، لكن على غير سُنَّة، وعلى غير طريق صحيح.

وقد جاءت هي الصفة في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يقرؤون الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»(٣).

لذا يحسن بنا ألا نغتر بكثرة العبادة، فربنا جَلَّ وَعَلَا لم يمتدح كثرة العبادة أبدًا، بل امتدح إحسان العبادة.

(١) البخاري (٣٤١٥) ومسلم (١٠٦٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠/٢٤٣-٢٤٤) وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) البخاري (٣٤١٤) ومسلم (١٠٦٤).

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

والنبي ﷺ قال لمعاذ: رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»(١).

فالعبرة ليست بالكثرة، وإنما العبرة بإحسان العبادة.

الصفة الخامسة: سوء فهم القرآن؛ وذلك لاتباعهم المتشابه، وتفردهم في الفهم، ونبذهم طريقة الصحابة وفهمهم.

فالخوارج: لا يفهمون القرآن كما فهمه النبي ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وبقية الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

وقد دل على هذا قول النبي ﷺ في حديث أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ المتقدم: «يقرؤون الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ».

وقد قال ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن الخوارج، قال: «انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ فِي الْكُفَّارِ فجعلوها فِي الْمُؤْمِنِينَ»(٢).

الصفة السادسة: استباحة الدماء المعصومة التي لا يحل لأحد استباحتها؛ لذلك الخوارج فرقة دموية بامتياز؛ فتراهم بمجرد شبهة أو شك أو ظن أو لازم باطل، يحصدون الرقاب حصدًا، ويقتلون الناس بالآلاف.

وقد جاءت هذه الصفة في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال ﷺ: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢).

(٢) علقه البخاري: تحت باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، ووصله ابن حجر وصححه في تغليق التعليق (٢٥٩/٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣١٦٦)، ومسلم (١٠٦٤).

ختامًا في الكلام عن الخوراح، ثمّة تنبيهان:

الأول: لا يظن طالب العلم فضلًا عن المسلم: أنَّ الذي يُكفر من ارتكب: ناقضًا من نواقض الإسلام بعد إقامة الحجة بتحقق الشروط وانتفاء الموانع أنَّه: تكفيري أو خارجي، فهذا زعم باطل.

ويحاول أعداء الإسلام، تشويه صورة أهل السنة، بإلصاق تهمة التكفير بهم، والحق الذي لا مرية فيه: أنَّ أهل السنة والجماعة: يكفرون من كفره الله، وكفره رسول الله ﷺ، بضوابط علمية وقواعد مرعية، بلا إفراط أو تفريط، وبلا غلو أو جفاء.

الثاني: لا يحكم على رجل بأنَّه خارجيٌ أو تكفيريٌ إلا إذا كان على أصول عقيدة الخوارج: كأن يرى جواز الخروج على الحاكم المسلم، أو يكفر المسلمين بالكبائر، وينكر الشفاعة، ويتكلم في القرآن، وغير ذلك من أفعال الخوارج.

أمَّا أن ننسب أي مخالف لنا إلى مذهب الخوارج -كما نراه اليوم-، فمن: الظلم، والجور، والجهل، وعدم تصور منهج الخوارج بحق.

۞ **المرجئة** :

المرجئة: هم فرقة ظهرت في أواخر القرن الأول الهجري، وأصل تسميتهم من الإرجاء، وهو التأخير.

وسموا بذلك لأنَّهم: أخروا العمل عن الإيمان، فلا يضر مع الإيمان عندهم ذنبٌ.

والإيمان لا يتبعض ولا يتجزأ؛ فلا يذهب كله إلا بالجحود.

والمرجئة على درجات، وهي:

الدرجة الأولى: الأشاعرة، فمنهم من يقول: الإيمان هو تصديق القلب فقط؛ وهو قول أتباع أبي الحسن الأشعري.

فالأشاعرة: وافقوا الجهمية والمرجئة في تعريف الإيمان، فجعلوه التصديق القلبي فقط، وصرحوا بأنَّه لا يزيد ولا ينقص، وأخرجوا عمل الجوارح، بل حتى عمل القلب: كمحبة الله، وخشيته من مسمى الإيمان.

الدرجة الثانية: الغلاة؛ ومنهم من قال: الإيمان هو مجرد المعرفة.

وهؤلاء هم: غلاة المرجئة، فعلى تعريفهم للإيمان، يدخل فيه: بعض رؤوس الكفر والعياذ بالله، وهذا قول الجهمية، نسأل الله السلامة والعافية.

الدرجة الثالثة: مرجة الفقهاء؛ ومنهم من قال: الإيمان تصديق القلب وقول اللسان؛ وهم مرجئة الفقهاء.

وهم الذين يقولون: الإيمان: هو التصديق بالقلب، وقول اللسان فقط؛ فالعمل ليس من الإيمان، وإنَّما هو ثمرة من ثمراته.

ويرون أنَّ الناس يتساوون في الإيمان، والتفاضل بينهم في الأعمال فقط، فالإيمان لا يزيد بالطاعات، والمعاصي لا تنقصه ولكنها توجب الفسق، والأعمال ليست من حقيقة الإيمان، لكنها لازمة له من ثماره.

وقال بقولهم أكثر أهل الكوفة من الأحناف من أتباع حماد بن أبي سليمان، وسُمُّوا: مرجئة الفقهاء؛ لأنَّهم من فقهاء أهل السُّنَّة والجماعة.

ولكنهم وقعوا في الإرجاء، بل جعل بعض العلماء قولهم: مبدأ بدعة الإرجاء فتطورت حتى وصلت إلى ما عليه الغلاة، من أنَّ إيمان العصاة: كإيمان جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ!.

وسبب ظهور هذه الفرقة: هو مقابلة مذهب الخوارج والمعتزلة في عصاة المؤمنين.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّما أحدَثه قومٌ قَصدُهم جَعلُ أهلِ القِبلةِ كُلِّهم مُؤمِنينَ ليسوا كُفَّارًا، قابَلوا الخوارِجَ والمُعتزِلةَ؛ فصاروا في طَرَفٍ آخَرَ»[١].

وقد عدَّ بعض العلماء: كشيخ الإسلام ابن تيمية خلافهم مع أهل السنة في هذه المسألة لفظيًّا فقط؛ لأنَّهم يوافقون أهل السنة في أنَّ العمل واجب، وأنَّ تارك العمل مستحق للذم والعقاب، وأنَّ أصحاب الكبائر تحت مشيئة الله.

ولكنهم يخرجون العمل من حقيقة الإيمان، ويجعلونه ثمرة له، وليس جزءًا منه؛ وذهب آخرون: كالإمام الألباني إلى أنَّ الخلاف معهم ليس كذلك؛ بل هو حقيقة ومعنى.

الدرجة الرابعة: مرجئة الكرامية؛ وهؤلاء يقولون: إنَّ الإيمان: هو قول اللسان فقط، فمن نطق بالشهادتين فهو مؤمن، ولو لم يعتقد بقلبه.

أدلة المرجئة على إخراج العمل عن الإيمان:

١. نصوص الرجاء العامة: كقول النبي ﷺ في حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/٤٤٦).

(٢) رواه أبو داود (٣١١٦)، وصححه الألباني.

٢. حديث الشفاعة العظمى المتقدم؛ ففي رواية عند مسلم قال: «وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا»(١).

فهذه الأدلة تدل على أنَّ العبد لو لم يعمل فإنَّه سيدخل الجنة، فالذي عليه مدار النجاة اعتقاد القلب، أو اعتقاد القلب ونطق اللسان.

الجواب على هذه الأدلة من وجهين:

الوجه الأول: نصوص الرجاء العامة، تُرد إلى النصوص الخاصة، التي ورد فيها الأمر العمل.

الوجه الثاني: هؤلاء الناس الذين يدخلون الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه: أصحاب صلاة؛ **بدليل**:

ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وفيه قال النبي ﷺ: «حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللهُ الْمَلَائِكَةَ: أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ.

فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ **إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ**، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ.

ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ»(٢).

---

(١) مسلم (١٨٣).

(٢) البخاري (٧٧٣).

ومما يحسن ذكره في الجواب على هذا الحديث: «من غير عملٍ عملوه ولا خيرٍ قدموه».

أنَّ معناه: لم يعملوا خيرًا زائدًا على أصل الإيمان.

قال الإمام ابن خزيمة: «هَذِهِ اللَّفْظَةُ لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي يَقُولُ الْعَرَبُ: يُنْفَى الِاسْمُ عَنِ الشَّيْءِ لِنَقْصِهِ عَنِ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ.

فَمَعْنَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ، لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ، لَا عَلَى مَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ»(١).

❁ ❁ ❁

(١) التوحيد (٢/٧٢٩).

تعريف الإيمان

تعريف الإيمان

قال الناظم بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقُلْ: إِنَّمَا الْإِيمَانُ: قَوْلٌ وَنِيَّةٌ ... وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ

وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي، وَتَارَةً ... بِطَاعَتِهِ يَنْمَى، وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ

* * *

عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الإيمان: وهو القول العدل الحق الذي لا يقبل الله غيره، وهو أنَّ الإيمان: **اعتقادٌ في القلب، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح والأركان.**

فالعبد يكفر بالاعتقاد: ككفر الجحود، والإباء، والشك، والاستكبار.

ويكفر بالقول: كسب الله عياذا بالله.

ويكفر بالعمل: كإهانة المصحف، ويكفر بها جميعًا.

وهم بذلك يفارقون الخوارج الذين يكفرون بالذنب، ويفارقون المرجئة الذين حصروا الكفر بالجحود القلبي فقط.

وقد أشار إلى هذا الناظم بقوله:

وَقُلْ: إِنَّمَا الْإِيمَانُ: قَوْلٌ وَنِيَّةٌ ... وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ

هذا هو الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة؛ **وقد عبر عنه جمع من السلف بقولهم: الإيمان قول وعمل؛ وهذا معنى قولهم: قول وعمل ونية.**

فالقول والعمل يشمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح؛ لذلك هنا يظهر خلل كبير يقع فيه كثير من الناس: وهو أنَّ الإيمان في القلب فقط.

ويرد هذا القول حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: «أَلَا وإنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ»[1].

فإذا استقام القلب على الإيمان، لا بد أنَّ يظهر الأثر على الجوارح.

وقد ذم أهل السنة الجماعة هذه المرجئة ذمًّا شديدًا؛ حتى قال إبراهيم النخعي عنهم: «لَفِتْنَتُهُمْ عِنْدِي أَخْوَفُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ فِتْنَةِ الْأَزَارِقَةِ، يَعْنِي الْمُرْجِئَةَ»[2].

قال الأوزاعي: «كان يحيى بن أبي كثير وقتادة يقولان: «ليس من شيء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء»[3].

۞ أدلة أهل السُّنَّة على دخول العمل في مسمى الإيمان.

١. اقتران الإيمان بالعمل في القرآن الكريم؛ فلو تأملنا كتاب الله عَزَّوَجَلَّ لوجدنا جل الآيات تقرن الإيمان بالعمل: كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البَقَرَةِ: ٨٢].

٢. حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ المتقدم عند مسلم: «بين الرجل وبين الشِرك والكفر ترك الصلاة»؛ والصلاة: عمل.

فإذا كان من تركها كفر، فهذا دليل على أنَّها من الإيمان؛ وقد قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البَقَرَةِ: ١٤٣].

---

(١) البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)

(٢) الإبانة لابن بطة (٢/٨٨٥).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣١٨).

وهذه الآية نزلت في الصلاة؛ حينما سأل الصحابة النبي ﷺ عن صلاتهم التي صلوها إلى غير القِبلة.

فقد أخرج البخاري في صحيحه(١) من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى - أَوْ صَلَّاهَا - صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ.

فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ، قَالَ: أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ.

وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ قِبَلَ الْبَيْتِ رِجَالٌ قُتِلُوا، لَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٤٣].

٣. حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قصة وفد عبد قيس، وفيه: «فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ.

قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟

قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ»(٢).

وفي هذا الحديث دليل صريح على أنَّ الأعمال من الإيمان؛ فقد فسر النبي ﷺ الإيمان بالأعمال من صلاة وصيام وغيرهما.

---

(١) برقم (٤٤٦٥).

(٢) رواه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧).

٤. حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أنَّ الإيمان شُعَب؛ فقد قال النبي ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[1].

هذا الحديث من الأدلة الصريحة على أنَّ العمل من الإيمان، وأنه يتبعض.

٥. الإجماع؛ أجمع أهل السنة على أنَّ العمل من الإيمان، وقد نقله: الإمام الشافعي فقال: «وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أنَّ الإيمان قول، وعمل، ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر» [2].

قال الإمام البخاري: «لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم: أهل الحجاز، ومكة، والمدينة، والكوفة...

فما رأيت واحدًا منهم يختلف في هذه الأشياء: أنَّ الدين قول وعمل، وأن القرآن كلام الله»[3].

٦. أنَّ الإيمان في اللغة: تصديق مع إقرار وإذعان، أمَّا التصديق فقط، فليس مرادفًا للإيمان، بل الإيمان: تصديق وقدر زائد عليه، وهو الإذعان وانقياد القلب؛ فإنَّ العبد قد يكون مصدقًا، ولا يكون مقرًا ولا مؤمنًا.

أما قول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي، وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمَى، وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ

فالإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة: يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

(١) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٨٨٧).
(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٣٢٠).

وقد ورد ذكر زيادة الإيمان في القرآن الكريم في ستة مواضع؛ **وهي:**

١. قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عِمرَان : ١٧٣] .

٢. قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفَال : ٢] .

٣. قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التَّوبَة : ١٢٤] .

٤. قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزَاب : ٢٢] .

٥. قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفَتح : ٤] .

٦. قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿مَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المُدَّثِّر : ٣١].

وثمرة هذه المسألة: أن يحرص المؤمن على زيادة إيمانه؛ والابتعاد كل الابتعاد عما ينقص الإيمان؛ **فما فائدة معرفتك لهذه المسألة دون ظهور أثر لها عليك؟!**

فلا تعمل على زيادة إيمانك وتعاهده، والموفق من أقبل على موارد الإيمان؛ فروى قلبه ولسانه وجوارحه.

التحذير من الرأي

و الطعن في أهل الحديث

التحذير من الرأي و الطعن في أهل الحديث

قال الناظم بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَـــــالِ وَقَوْلَهُمْ فَقَـــــوْلُ رَسُـولِ اللهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ

وَلَا تَكُ مِنْ قَــــوْمٍ تَلَهَّــوْا بِدِينِهِمْ؛ فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الحَـــــدِيثِ وَتَقْدَحُ

***

ختم الناظم بنصيحة كما بدأ؛ حيث ينصحك أيها السني ألا تلتفت إلى كلام الرجال، ولا إلى آرائهم، بل خُذ دينك من كلام الله، وكلام رسول الله ﷺ؛ وآراء الرجال تشمل البدع، وتشمل رد الأحادي: انتصارًا لقول رجل.

ولا يعني ذلك: أنَّ المقصود ألا نسمع كلام العلماء، أو لا نأخذه، وإنَّما يحذرك أنَّ تأخذ دينك عن أهل الباطل وأهل الضلال، ممن لا يستدلون لا بالكتاب، ولا بالسُّنَّة.

وكذلك أن يصبح قول شيخك مقدمًا على قول الله وقول رسوله ﷺ؛ لذلك لا ينبغي لطالب العلم: أن يكون مقلدًا صرفًا للرجال، دون معرفة دليل العالم من القرآن، ولا دليلها من السُّنَّة، ولا من كلام الصحابة ولا التابعين.

فطالب العلم: لا يسوغ له التقليد، إلا في إطار ضيقٍ جدًا؛ فيقلد العلماء في أدلتهم، وفي طرق استدلالهم.

إلا إذا لم يقف على نصٍ في المسألة، ولم يستطع أنَّ يبحث، فيقلد من يراه أقرب وأورع وأتقى لله جَلَّوَعَلَا.

وكذلك لا ينبغي لمسلم، ينتسب إلى أهل السنة: أنَّ يطعن في أهل الحديث؛ الذين هم أتباع السنة رواية ودراية.

وهذا كلام من عاش في القرن الرابع الهجري، فحذر من الطعن بأهل الحديث، فكيف لو رأى الناظم ما يُفعل وما يقال في أهل الحديث في زماننا؛ وإنا لله وإنا إليه راجعون، ونسأل الله السلامة والعافية.

فالواجب علينا: أنَّ نعظم أهل السُّنَّة، ونعظم أهل الحديث وهم الذين يتبعون حديث النبي ﷺ.

۞ ۞ ۞

الخاتمة

الخاتمة

قال الناظم ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ -يَا صَاحِ- هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَـــيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ

***

إذا اعتقدت ما ذكره الناظم فأنت على خير، ونحن نشهد الله جَلَّوَعَلَا على أنَّ ما ذكره الناظم في هذه المنظومة المباركة: هي العقيدة التي أرادها الله جَلَّوَعَلَا، وتعبد بها النبي ﷺ وصحابته والتابعون، ومن سار على دربهم بإحسان إلى يوم يبعثون.

ونسأل الله العظيم أن يثبتنا عليها حتى نلقاه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحابته أجمعين.

فهرس الكتاب

فهرس الكتاب

العنوان الصفحة

تم بحمد الله

